خمسة وعشرون عاماً على انطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

دلالات المشروع التاريخي

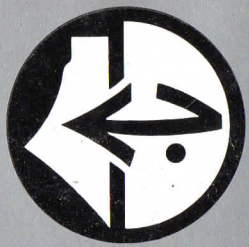

استدراك

سقط سهواً بعد السطر الأخير من الصفحة ٦٧ الفقرة التالية :

علمية للظروف والمعطيات المحددة والواقع الملموس، ففي حين غلبت الجبهة الشعبية الكفاح المسلح في بداية انطلاقتها على النضال الجماهيري، فهي اليوم توازن بين كافة الأشكال، دون إغفال لأحدها علماً بأن الكفاح المسلح سيبقى شكلاً رئيسياً للنضال ضد الاحتلال، فالانتفاضة ليست عملاً عسكرياً صرفاً، بل هي كفاح جماهيري سلمي لاعنفي تتنوع فيه أشكال المواجهة وأساليب النضال بترابط جدلي وعضوي على طريق تحقيق الهدف، رغماً عن الأشكال الكفاحية الشعبية الجماهيرية التي تمارس في الانتفاضة التي كشفت أزمة العمل العسكري الفلسطيني برمته والجبهة الشعبية جزء منه، مع تفاوت مستوى هذه الأزمة، لاعتبارات أن الجبهة لازالت تمارس هذا العمل من خلال قاعدة الارتكاز الخارجية عبر قواتها العلنية وشبه العلنية والسرية في البلاد المحيطة بفلسطين، أو من خلال مناضليها، أبطال «لجان المقاومة الشعبية» وأبطالها الأشاوس في مجموعات «النسر الأحمر».

خمسة وعشرون عاماً على انطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

دلالات المشروع التاريخي

مقدمة

يحدث أن يكبر الصغار، وأن تتداعى الخيام، يحدث فجأة أن يصحو الفلسطيني على مرارة وجوده. في هذا العالم، العالم المزدحم بشعوب تُحصّل استقلالاتها بحد السيف. هل قلنا فجأة، كلا وكيف يكون الصحو مفاجئاً إلا إذا قصدنا لحظة الاعلان. ولحظة الاعلان — الولادة يتبعها ذلك العمل الدؤوب، سراً وجهاراً، ليلاً ونهاراً، في الجامعات حيث الأفكار نهباً للراغبين، وفي المخيمات والمعامل والحقول حيث الفقر والاغتراب مادتا الثورة ومحركاها الأساسيان. وهكذا إذاً، ومنذ سنوات نفيه الأولى تمرد شعبنا على شروط الاذلال التي احاطته، أو أحيط بها، لم يستكن، لم ييأس، لم ينسَ للحظة أنه ابن أرض سليبة، فكان أن أرضع ذكرى تلك الأرض ببيادرها وبياراتها واقاصيص الأجداد فيها للأبناء، وكبر الأبناء فكانت الستينات من هذا القرن ملعب صباهم، ومختبر أحلامهم، وستينات هذا القرن كانت الشعلة التي أضاءت بالأمل مصير العديد من الشعوب، فيها انتصر شعب الجزائر البطل بعد طول احتلال فيها انتصرت شعوب في آسيا وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، فيها تكاثف احساس العرب بعدوانية «اسرائيل» والغرب. فلِمَ لا يستعيد

الفلسطينيون دورهم المفقود. لِمَ لا يكونون، من جديد، رأس الحربة التي ستغرس في كيان «اسرائيل» الغريب فتقضي عليه.

قبل هزيمة حزيران بعامين أو ثلاثة اشتد، إذاً، احساس الفلسطينيين بضرورة أن يتوجه نضالهم لبعث كيانية فلسطينية ما، تعيد للفلسطيني ثقته بنفسه، فقامت التنظيمات الفلسطينية وابتدأت العمليات العسكرية، من فدائيين، كان سلاحهم الأكبر ايماناً بعدالة قضيتهم، واصراراً على التضحية بكل غالٍ وثمين. ابتدأ العمل الفلسطيني الخاص قبل الهزيمة، وما ان حدثت الهزيمة حتى تعاظم ذلك العمل. فقد كانت المقاومة الشكل الأبرز من أشكال رفض أمتنا لشروط الاهانة التي تلت حرب عام ١٩٦٧ . وفي ١١ كانون الثاني من ذلك العام، أي بعيد شهور قليلة على تلك الهزيمة أعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عن نفسها كتنظيم فلسطيني مقاتل، يرى «أن المقاومة المسلحة هي الأسلوب الوحيد والفعال والذي لا بد أن تلجأ إليه الجماهير الشعبية في تصديها للعدو الصهيوني وكل مصالحه ووجوده». و«أن الجماهير هي مادة المقاومة وقيادتها».

كان تاريخ الحادي عشر من كانون الثاني من عام ١٩٦٧ مجرد توقيت، أما العمل فقد ابتدأه أفراد الجبهة قبل ذلك بوقت، ابتدؤوه، وتركوا في ساحته شهداء، وأسرى. كان هاجس الشباب الذين شكلوا فيما بعد عصب الجبهة الشعبية، وتاريخها الذي يعرفه الجميع، هي كيف نخلق تنظيماً يضم خيرة مناضلي شعبنا، فقد آمنت الجبهة منذ بيانها الأول «أن

وحدة كل المناضلين هي المطلب الحقيقي لجماهيرنا».

كانت البداية اتحاداً من تنظيمات عدة أساسها شباب الثأر (الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب) ومعها «ابطال العودة» وجبهة التحرير الفلسطينية، و«عدة شخصيات وطنية فلسطينية وعربية»، وكان انشاء الجبهة ومن قبلها انشاء فتح وغيرها من التنظيمات الفلسطينية، تجارب أولى جديدة لشعب يتلمس كيانيته، فيخطىء ويصيب، كان على شعبنا أن يبني الأحزاب حتى يعرف كيف تُبنى على أرض الواقع، وهكذا ومع المسيرة راحت التنظيمات تضرب بجذورها عميقاً في الأرض الفلسطينية والعربية، مع تلك المسيرة حدث الفرز، وتغربلت التنظيمات، خرج أناس، ودخل أناس، نُبذت أفكار، وحلت أفكار. وكانت الحركة الفلسطينية في ذلك كله تقوى وتتصلب.

ومنذ تاريخ الاعلان غدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واقعاً لا يمكن القفز عنه، غدت واحدة من القوى الأساسية في حياة شعبنا الفلسطيني. لم تتخذ قيادة الجبهة قراراً بأن تكون احدى القوى الأساسية، لقد أهلها لذلك الموقع المشرف، تاريخها النضالي الحافل ذلك السيل من التضحيات، الذي يعترف به الأعداء قبل الأصدقاء. لم تكن الجبهة صاحبة تشدد، لأنها تحب التشدد لأجل ذاته، بل لقناعة راسخة بأن قضيتنا من القضايا التي يفسدها اللين والتراخي. كانت صاحبة تشدد لأنها عرفت عدونا على حقيقته العدوانية،وطبيعة التناقض التناحري المصيري بينه وبين الشعب الفلسطيني والأمة العربية.

وهكذا، وبينما راحت بعض الأطراف الفلسطينية تبحث لها، ومنذ سنوات، عن مواقع في عربة التسوية القادمة، اختارت الجبهة جانب تصليب الكفاح جانب الثبات على مبادئنا وحقوقنا التي لا تتزعزع.

والآن، ونحن نسترجع المسيرة الماضية، نسترجع ربع قرن مضى من عمر الثورة، ومن عمر الجبهة، لا بد الا أن نستذكر بكل الفخار، القائمة الطويلة من رفاق عاشوا معنا، وكانوا سباقين إلى التضحية بنفوسهم، لا بد أن نستذكر آلاف المعتقلين، القابعين في شروط اعتقال لا انسانية، في المعتقلات الاسرائيلية البربرية.. هؤلاء هم رصيدنا، هؤلاء هم رصيد شعبنا الفلسطيني، والذي رغم كل الانتكاسات التي عاشتها قضيته، لم يلن ولم تنثني له عزيمة. هنا في المنافي، وهناك في الداخل حيث تصاغ أروع الملاحم والبطولات..

في هذه الذكرى، ذكرى مرور خمسة وعشرين عاماً على انشاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نقدم هذا الكراس تذكيراً بمسيرة حافلة، هي مسيرة الشعب الفلسطيني بكل ما حفلت به من تضحيات واخفاقات..

دائرة الثقافة والاعلام ــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

١٦ تشرين ثاني ١٩٩٢

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

بيان عمليات رقم ١

بعد ان قررت البدء في نشر بيانات عن عملياتها ،تعلن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن العمليات العسكرية التالية :

١ ــ اشتباك بتاريخ ٦ ــ ١٠ ــ ٦٧ بين احدى وحداتنا وكمين اسرائيلي بجوار مستعمرة « الزراعة » استشهد خلال الاشتباك المقاتل حسن العبد ، كما جرح مقاتل اخر . لم تتمكن من معرفة خسائر العدو .

٢ ــ كمين اعدته احدى وحداتنا لدورية عسكرية اسرائيلية شرقي مدينة جنين بتاريخ ١٥ ــ ١٠ ــ ٦٧. تم تدمير سيارة الدورية ومقتل ثلاثة جنود اسرائيليين داخلها .

٣ ــ هجوم بالاسلحة المضادة للدروع بتاريخ ٢٤ ــ ١٠ ــ ٦٧ على كمين اسرائيلي كان يتمركز شمالي « دامية » وبسبب مضايقة مستعمرة لمواطني القرى العربية المجاورة . دمرنا ثلاث سيارات عسكرية للعدو . وكما جرى تطهير خنادق الكمين الاسرائيلي بالقنابل اليدوية . خسر العدو ٩ قتلى . استشهد خلال الهجوم المقاتل عبد الكريم البرغوثي . فقدنا سلاحا مضادا للدروع وبندقية اتوماتيكية . اعترفت سلطات اسرائيل بالحادث وبمقتل اثنين من جنودها واصابة اثنين اخرين .

٤ ــ كمين نصبته وحداتنا بتاريخ ٧ ــ ١١ ــ ٦٧ لدورية اسرائيلية في موقع يقع شمال شرق الخليل . حطمنا سيارتين للعدو بالقنابل اليدوية . وعلى الاثر وصلت نجدات للعدو وقتلت عددا من المزارعين العرب بحجة انهم من رجال المقاومة . وقد اعترفت سلطات اسرائيل بوقوع الحادث .

٥ ــ كمين لسيارة عسكرية اسرائيلية في منطقة العوجة بتاريخ ١٠ ــ ١١ ــ ٦٧ . تم تحطيم السيارة بالقنابل اليدوية . اعترف العدو بمقتل جندي واحد وسقوط جريحين .

٦ ــ هجوم خاطف بالقذائف المضادة للدروع على معسكر اسرائيلي جنوب الخليل بتاريخ ١٣ ــ ١١ ــ ٦٧. تمكنت وحداتنا من دخول المعسكر واطلقت قذائفها على مهاجع الجنود من مسافة خمسين مترا . اصابت احدى القذائف مستودعا للذخيرة مما تسبب في حدوث انفجار عنيف . اعترفت الصحف الاسرائيلية بوقوع القصف من مسافة ثمانين مترا ثم عادت واعترفت بانه وقع من مسافة لا تزيد عن خمسين مترا .

٧ ــ تعطيل خط سكة الحديد قرب بئر السبع بتاريخ ٤ ــ ١٢ ــ ٦٧ عن طريق نسف قاطع طوله ١٨ مترا من الخط المذكور . خرجت اربع عربات عن الخط ولم تتمكن من معرفة خسائر العدو . اعترف العدو بوقوع هذا الحادث .

٨ ــ نسف موتور مياه ومحطة توليد كهرباء تزودان مستعمرة « كفار روبين » ومستعمرتين مجاورتين بالماء والكهرباء . وقع الهجوم بتاريخ ٦ ــ ١٢ ــ ١٩٦٧ وبقيت الكهرباء مقطوعة عن المستعمرات الثلاث لمدة ليال بعد الهجوم . تعطلت بفعل الهجوم عملية تزويد المستعمرات وبرك تربية الاسماك بالمياه . وقد اعترفت السلطات الاسرائيلية بوقوع هذا الحادث .

٩ ــ تدمير بناء عسكري في مستعمرة « نجيف » بتاريخ ١١ ــ ١٢ ــ ٦٧ بعد أن جرى اختراق الاسلاك الشائكة المزودة باجهزة انذار . اعترف العدو بوقوع الحادث ولكنه ادعى بان البناء كان مؤسسة مدنية .

١٠ ــ كمين اعدته احدى وحداتنا لدورية عسكرية للعدو بتاريخ ١٣ ــ ١٢ ــ ٦٧ في منطقة تقع جنوبي بحيرة طبريا . دمرت وحداتنا سيارة للعدو من مسافة قريبة جدا ، كما تمكنت من صد ثلاث سيارات عسكرية اخرى جاءت لنجدة السيارة المضروبة .

تؤكد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ايمانها بالكفاح المسلح طريقا لتحرير فلسطين ، كما تدعو كافة المنظمات المقاتلة الى اقامة وحدة فيما بينها بالشكل وبالاسلوب الذي يتفق عليه الجميع .

ان الجبهة الشعبية مستعدة لبذل كافة الجهود اللازمة لتذليل العقبات المعيقة لعملية توحيد المنظمات المقاتلة .

منتصف كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

بمناسبة الذكرى اليوبيلية الخامسة والعشرين لانطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نتقدم بهذا الكراس آملين عرض رؤية حزبنا ومكانته ودوره في النضال الوطني الفلسطيني المعاصر منذ انطلاقة الجبهة ولغاية الآن. أما هدفنا من هذا العمل فهو المساهمة في التعريف بتجربة حزبنا الحاصلة، ومحاولة استخلاص الدروس والعبر بما يخدم نضال شعبنا الفلسطيني الهادف إلى نيل حقوقه الوطنية المشروعة، وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الوطنية المستقلة.

□

لقد جاءت انطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اثر هزيمة البرجوازيات العربية في سنة ١٩٦٧ م. تعبيراً عن الرد الشعبي الفلسطيني والعربي على هزيمة الأنظمة، الذي يُصّر على مواصلة طريق النضال والكفاح، لتحقيق طموحات الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه واقامة دولته الوطنية المستقلة على ترابه الوطني. وكانت انطلاقة الجبهة دليلاً على تنامي دور اليسار الفلسطيني، بامتداداته وفاعلياته القومية، ليأخذ في مبادرته الأولى شكل الكفاح الفاعل والمؤثر، من خلال طرح خيار الكفاح المسلح، وحرب الشعب طويلة الأمد، وليعطي بعداً صراعياً استراتيجياً لجماهير شعبنا وأمتنا، التي طال تغييبهما، بفعل مصادرة الأنظمة لإدارة دفة الصراع الضعيف حتى تلك اللحظة والذي ثبت عجزه في اللحظات الحاسمة.

وكانت انطلاقة الجبهة، التي ضمّت في يوم الاعلان عن الانطلاقة في الحادي عشر من كانون الأول عام ١٩٦٧ م، العديد من المنظمات السياسية والعسكرية الفلسطينية بطابعها الجبهوي، تأكيداً على خيار الجبهة الوطنية العريقة، التي تضم كافة القوى التي تؤمن بخيار الكفاح المسلح طريقاً لتحرير فلسطين.

وكان للظروف العربية والفلسطينية المحيطة بهذه القوى تأثيرها

الواضح في تحديد شكل ولحظة الانطلاقة، كما كان للظروف الخاصة بها، دورها أيضاً في تحديد طبيعة ومحتوى برنامج وخط وتشكيلة الجبهة.

فقد جاءت الانطلاقة بعد فترة طويلة، راهنت خلالها جماهير شعبنا الفلسطيني على الأنظمة الوطنية والقومية التقدمية العربية، التي كانت تقود معركة الصراع مع العدو الصهيوني، وفي ظروف تأجج المزاج الشعبي بالفكر والشعارات القومية العربية، حتى إنَّ الشباب الطلائعي الفلسطيني انخرط بمعضمه في صفوف الأحزاب والتنظيمات القومية العربية — من حركة قوميين عرب وبعثيين — ناهيك عن الالتفاف الواسع حول الناصرية. وخلال عقدي الخمسينات والستينات، التي كانت تشهد المدّ القومي، كانت الاستقلالات القطرية تتابع واحدة تلو الأخرى، وكان لتأخر انجاز النظام القومي العربي لشعار تحرير فلسطين، ومن ثمّ فشل تجربة الوحدة بين مصر وسوريا، أثر في بدء ظهور الشعور الوطني الفلسطيني، الذي أخذ يعي بشكل متزايد أهمية عدم الغاء الخاص الوطني لصالح العام القومي، الأمر الذي دفع النظام الرسمي العربي، ممثلاً بالقمة العربية الأولى، إلى الدعوة لتشكيل منظمة التحرير الفلسطينية، كإطار — يستجيب لهذه التطلعات، ويحتويها في اطار مشاريعها، في آنٍ معاً.

في ذلك الوقت كانت التنظيمات الفاعلة والأساسية في الساحة الفلسطينية، تسعى لتشكيل لجنة تضم حركة القوميين العرب في الساحة الفلسطينية والأردنية : (شباب الثأر، التنظيم العسكري لفرع

الحركة) ــ أبطال العودة، جبهة التحرير الفلسطينية وحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح ».

وقد جاءت هزيمة الأنظمة العربية في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، لتشكل مبرراً حاسماً لهذه القوى الفلسطينية، لتأخذ زمام المبادرة بنفسها، وتعلن بقوة عن حضور العنصر الفلسطيني على أرض الصراع. فانتهت لجنة الفصائل ــ بعد أن انسحب أحد أطرافها، وفي الوقت الذي كان فرع الحركة يواصل أعماله بهمة تحضيرية سياسية حسب وثيقة تموز ١٩٦٧، وتنظيمه وعسكرية، ثم بلورت اللقاء الجبهوي مما أدى، إلى الاعلان عن تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

ومنذ انطلاقتها مثّلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بما ورثته من تاريخ سياسي وطني من فصائلها التي كونتها، مكانة وطنية مرموقة، وقطباً وطنياً فاعلاً ومستقطباً أساسياً في إطار حركة التنظيمات الفلسطينية، ومن ثم في إطار منظمة التحرير الفلسطينية، بعد أن انضوت المنظمات الفدائية في إطارها السياسي، وشكّلت الجبهة على مدار ربع قرن من نضالها ضمانة ورقيباً لمستوى الفعل الوطني الفلسطيني، بحيث غدت ضميراً للشعب، وحافظاً لحقوقه ومصالحه الوطنية، في وجه حالات الوهن والضعف، ومحاولات التراجع والتفريط، فتميزت بالصلابة السياسية، والمواقف الثابتة، وكانت على الدوام الطرف الذي يتمسك بالحقوق الوطنية والتاريخية لشعبنا، في كل منعطف سياسي تستجيب فيه البرجوازية الفلسطينية، بحكم طبيعتها المترددة، لقسوة

الظروف، وتقدم على تقديم التنازلات لصالح الأعداء.

وقد تمتعت الجبهة بمكانتها ليس بسبب مواقفها السياسية الثابتة فقط، وإنما أيضاً بفضل الروح الكفاحية المتوثبة دائماً، والتي كانت تترجم من خلال حجم فعلها المتميز في كل المعارك الوطنية التي كانت تخوضها الثورة الفلسطينية، وفي حجم عملياتها الفدائية الجريئة، حتى أنه يمكننا القول بكل جرأة بأن الجبهة هي أحد العناوين الرئيسية للنضال الوطني الفلسطيني المعاصر.

وقد ارتكزت الجبهة الشعبية خلال مسيرتها الطويلة إلى رؤية واضحة لطبيعة العدو الصهيوني، باعتباره عدواً وطنياً وطبقياً للشعب الفلسطيني والأمة العربية وكافة الشعوب المناضلة ويرتبط بأوثق علاقات التحالف مع الامبريالية العالمية والرجعية العربية، مدعوماً من الحركة الصهيونية العالمية، باعتبارها حركة شوفينية رجعية، وعلى هذا الأساس حدّدت الجبهة الشعبية، طبيعة معسكر أعداء الثورة، ورفعت شعار دولة فلسطين العلمانية الديمقراطية والتي ترى أن الحل لا يكون باقامة كيان عنصري فاشي لليهود في فلسطين على حساب الحقوق الوطنية والتاريخية المشروعة لسكانها الشرعيين، وإنما باقامة الدولة العلمانية والمجتمع العربي الاشتراكي الموحد، حيث تنتفي الصراعات الطبقية والعرقية والطائفية.

ومنذ البداية تميزت الجبهة الشعبية بنظرتها لأشكال النضال، وفقاً لطبيعة الصراع الرئيسي الذي يحكم العلاقة بين الشعب الفلسطيني وحلفائه من جهة، والعدو الصهيوني وحلفائه من جهة أخرى، ومن

حيث أنه صراع تناحري لا يمكن حلّه إلا بالعنف الثوري، وكافة أشكال النضال وعلى رأسها أسلوب الكفاح المسلح، الذي تتحدد أهميته وحجم استخدامه وشكل هذا الاستخدام وفقاً لطبيعة المرحلة، التي تمر بها عملية الصراع بأبعادها الوطنية والقومية والأممية. ونظرت الجبهة إلى جماهير الشعب، نظرة ديمقراطية، تمثّلت في ضرورة أن تنخرط أوسع قطاعات الشعب في عملية التحرر الوطني، لتدفع الجماهير بجلّ طاقاتها في العملية الصراعية الشاقة والطويلة الأمد، بحكم طبيعة الصراع الذي يمتد ليتخذ أبعاداً أممية بسبب المصالح المتداخلة لكلٍّ من معسكري الأعداء والأصدقاء في حالة الصراع القائم.

وفي الوقت الذي كانت تعي فيه الجبهة الشعبية أن هدفها الاستراتيجي هو تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني، كمقدمة لإقامة الدولة الديمقراطية، كانت تدرك أن الطبيعة المعقدة والشاقة والطويلة للصراع، تفرض عليه أن يمر بمراحل متدرجة وصولاً إلى الهدف النهائي الاستراتيجي، فتميزت بالربط المنطقي والضروري للبرنامج الوطني المرحلي، حيث تقام السلطة الوطنية على جزء من الوطن الفلسطيني تتيح الظروف الخاصة لتجمعات الشعب الفلسطيني فيه، كذلك موازين القوى المحلية والعربية والدولية، إضافة إلى الوضع القانوني الدولي وعوامل أخرى متعددة، الإمكانية الأسهل لتحريره، شرط أن لا يتم استبدال الاستراتيجي بالمرحلي، وأن يسّهل انجاز المرحلي مهمات انجاز البرنامج الاستراتيجي.

وقد سارت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ربع قرنٍ كامل على دروب التضحية، في سبيل تحقيق أهداف شعبنا الوطنية، فكان أن قدمت منذ الشهيد الأول خالد أبو عيشة آلاف الشهداء، وآلاف الجرحى والمعتقلين، وتفخر الجبهة بأن الشهادة قد مسّت مبكراً صفها القيادي، حيث استشهد لها عدد من أعضائها القياديين يتقدمهم عضوا المكتب السياسي الرفيقان غسان كنفاني ومحمد محمود الأسود «جيفارا غزة»، بعد أن سطّرا ملاحم البطولة، في التصادم مع العدو وتقديم المثل للقائد الوطني الذي يتصدر الصفوف. وبعد حزيران / النكسة مباشرة تميزت تجربة الجبهة العسكرية بقيادة الرفيق محمد محمود الأسود «جيفارا غزة»، في قيادة غزة، وتجربة الرفيق أبو منصور في جبال الخليل التي أشعلت الداخل الفلسطيني، حيث كانت نظرة الجبهة الصائبة والمبكرة، في اعتبار الداخل الفلسطيني مركزاً لثقل العمل الوطني، ثم تميزت الجبهة الشعبية في إطار تجربة العمل الوطني الفلسطيني في الأردن برؤيتها الثاقبة والسليمة حيث نبهت مبكراً إلى ضرورة التيقظ لطبيعة النظام في الأردن آنذاك، ونبهت مبكراً إلى ضرورة حسم الصراع معه. ومن ثم عاشت الجبهة أيضاً ضمن إطار العمل الوطني الفلسطيني تجربة لبنان، وتميّزت هناك بتأكيدها على أهمية التحالف المبدئي مع القوى الوطنية والديمقراطية والإسلامية اللبنانية. وحذرت من خطورة التجاوزات اليمينية الفلسطينية لدور هذه القوى، كما شاركت ببسالة في معارك الثورة في وجه الاجتياحات الاسرائيلية المتعاقبة، وأكدت على أهمية البقاء في لبنان

باعتباره الركيزة الأولى للثورة الفلسطينية بعد عام ١٩٨٢ م، وساهمت في تأسيس جبهة المقاومة في الجنوب اللبناني، وشاركت بعملياتها الفعّالة مع القوى الوطنية والاسلامية اللبنانية في طرد المارينز وانحسار الاحتلال الاسرائيلي إلى الشريط الحدودي، ثم خاضت معارك الشعب الفلسطيني بصلابة وجرأة، في وجه محاولات تجريده من سلاحه، ودافعت عن مخيمات الصمود مع القوى الوطنية والديمقراطية الفلسطينية، وكان لها دور هام ومميز في إعادة الوحدة السياسية للشعب الفلسطيني، وفي الحفاظ على قيادة ومسيرة انتفاضته المباركة.

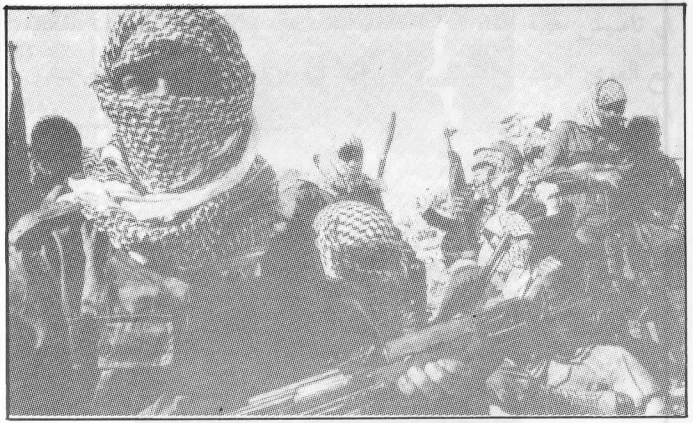

الجبهة الشعبية والمسألة التنظيمية
خمسة وعشرون عاماً في بناء حزب الثورة

تشكل فلسفة الحزب الثوري في العملية النضالية والتطور الاجتماعي بشكل عام ركيزة أساسية من ركائز الفكر السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . فالحزب الثوري مدعو تاريخياً للعب دور الداعي والمحرض والمنظم للجماهير الشعبية في نضالها من أجل تحقيق أهدافها الوطنية والطبقية ، الآنية والاستراتيجية .

على أرضية هذه الفلسفة نشأت وتطورت الجبهة الشعبية جاعلة من مهمة بناء الحزب الثوري مهمة محورية دائمة تشكل ضرورة موضوعية في نضال شعبنا الفلسطيني الساعي لتحقيق أمانيه في التحرر الوطني والاجتماعي . وقد تجسدت هذه الرؤية المتميزة في الوثيقة الأساسية الأولى لحزبنا : الاستراتيجية السياسية والتنظيمية حيث أكدت بأن « الحزب الثوري الذي يعمل على توليد هذه الحرب (الثورية) ، وقيادتها حتى النصر ، شرط أساسي لكل ثورة جذرية حقيقية في عصرنا . إن الحزب هو الذي يوفر الرؤية السليمة للمعركة ، وهو الذي يحدد استراتيجيتها وتكتيكها على ضوء الدراسة الموضوعية لقوى المعركة ، ونقاط الضعف ونقاط القوة في هذه القوى ؛ وهو الذي يوفر للمعركة قيادتها ، ويقدم

الإطار الذي من خلاله تعبأ كافة الطاقات الجماهيرية وتوجه لكسب الحرب وتحقيق الهدف » .

وفي هذا المجال تحتل المسالة التنظيمية موقعاً هاماً وأساسياً في بناء ونشـاط الحزب الثوري . فالقضـايا الفكرية والسياسية هي مقدمات أسـاسية لا بد منها لوجود الحزب الثوري ، إلا أنها غير كافية ، فهي بحاجة أولاً وأخيراً إلى التنظيم . فلكي تستطيع الجماهير الشعبية أن تقود بنجاح الصراع الطبقي والوطني من الضروري أن تمتلك منظمة سياسية موحدة وصـلبة وعالية التنظيم ، فالتنظيم هو السلاح الرئيسي في أيدي الجماهير لمواجهة أعدائها وتحقيق أهدافها وأمانيها .

وتبين الإطلالة على نشأة الجبهة الشعبية بأنها قد تشكلت تاريخياً من الفرع الفـلسطيني ـــ الأردني لحركة القوميين العرب . ومن حيث البنيـة التنظيمية فقد قامت الجبهة الشعبية في البداية باعتبارها جبهة » تضم عدداً من التنظيمات السيـاسـيـة الملتقيـة بوجه عام حول برنامج سياسي ، اي أنها لم تكن آنذاك حزباً واحداً . فقد ضمت الجبهة لدى تأسيسها أربعة تشكيلات سياسية ضمن اطار جبهوي ، وهي .ـــ

١) فرع حركة القوميين العرب في الساحة الفلسطينية ـــ شباب الثأر
٢) التنظيم العسكري لفرع الحركة ـــ أبطال العودة
٣) جبهة التحرير الفلسطينية
٤) مجموعة من الضباط الناصريين والشخصيات المستقلة .

إلا أن التفاوت في مستوى التطور النظري والسياسي والتنظيمي بين مختلف هذه التشكيلات وبالأخص بين فرع الحركة ـــ شباب الثأر وأبطال العودة ـــ الذي كان يسعى لبناء حزب ثوري من جهة وجبهة التحرير الفلسطينية والمستقلين من جهة أخرى أدى إلى بروز تناقضات جدية انتهت بانسلاخ المجموعة الثانية عن الجبهة . وبخروج هذه المجموعة تطورت الجبهة الشعبية عملياً كاستمرار للفرع الفلسطيني ـــ الأردني في حركة القوميين العرب ، وفتحت بذلك الآفاق لانجاز عملية التحول إلى مواقع الاشتراكية العلمية وبناء حزب العمال والكادحين الثوري .

ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن بدأت وتتواصل الرحلة التنظيمية لجبهتنا في سعيها الجاد والدؤوب لبناء حزب الثورة . وهنا فإننا نؤكد بأنه على الرغم من أية ثغرات ونواقص يمكن تسجيلها في هذا المجال إلا أن الهادي الأسـاسي لنشاط حزبنا التنظيمي كان وسيبقى دائماً العمل لبناء الأداة القادرة على لعب الدور الطليعي الرائد في نضال شعبنا الفلسطيني .

والواقع أن المرحلة الممتدة منذ تشكيل الجبهة ولغاية المؤتمر الثاني في شبـاط ١٩٦٩ اتسمت بضعف جدي تجلى بغياب الوثائق الحزبية الأسـاسيـة ـــ البرنامج السياسي والنظام الداخلي ـــ وبعدم وجود فهم موحد لعملية التحول ولكيفية التعاطي مع تناقضاتها في جميع المجالات وبـالأخص في المجـال التنظيمي . ممـا أدى إلى انشـقـاقين عن جسـم الجبهة ، انشقاق الجبهة الديمقراطية عام ١٩٦٩ والجبهة الثورية في العام ١٩٧٢ .

وفي هذا المجال لا بد من الاشارة إلى أن مسائل الخلاف الرئيسية مع الفريقين المنشقين تمحورت أساساً حول موضوعة التحول . من جهتها تبنت الجبهة الشعبية الرأي القائل بإمكانية تحول تنظيم برجوازي صغير ، راديكالي إلى مواقع الاشتراكية العلمية وذلك في ظروف محددة موضوعية وذاتية ، مقابل وجهة نظر المنشقين التي تقول بأن أقصى ما يمكن حصوله هو نشوء عناصر ماركسية في صفوف التنظيم تنسلخ عنه وتشكل تنظيماً مستقلاً . بالطبع ، فإن هذا الخلاف قد حسمته حقائق الحياة وفي مقدمتها تحول الجبهة الشعبية نفسها .

هذا وقد شكلت ظاهرة الانشقاق بالرغم من نتائجها السلبية الخطيرة على عملية التحول حافزاً للجبهة في التقدم إلى الأمام ، الأمر الذي تجلى في صياغة وتبني الاستراتيجية السياسية والتنظيمية في المؤتمر الثاني ــ شباط ١٩٦٩ . وشكّل تبني هذه الوثيقة الأساسية خطوة هامة على طريق التحول إلى مواقع الاشتراكية العلمية وسلح الجبهة بمقررات تستطيع الاستناد إليها في تطورها الفكري والسياسي والتنظيمي لاستكمال بناء الحزب الثوري .

وتبين الإطلالة على الاستراتيجية السياسية الأهمية التي أعطيت للفكر السياسي الثوري ، فعلى أساسه تم تحديد قوى الثورة على الصعيد الفلسطيني والعربي والعالمي ، كما تم تحديد معسكر الأعداء المتمثل بالامبريالية والصهيونية والرجعية وكيفية مواجهته . كما وحددت الاستراتيجية أيضاً أهداف النضال الوطني الفلسطيني ومعانيه ، فأشارت

إلى ضرورة التمييز بين اليهود وبين الصهيونية كحركة عنصرية عدوانية ، وإلى أن النضال الوطني الفلسطيني يستهدف بناء مجتمع ديمقراطي في فلسطين يعيش فيه العرب واليهود كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات .

أما على الصعيد التنظيمي فقد تبنت الاستراتيجية مبادىء تنظيمية عامة تعبر بدرجة أو بأخرى عن الالتزام بنظرية الاشتراكية العلمية في مجال التنظيم ، وبالأخص التأكيد على أن المركزية الديمقراطية هي الأساس في بناء ونشاط الجبهة الشعبية .

هذه هي الخطوط العامة التي حددت توجهات ومسار الجبهة في عملية بناء حزبها الثوري ، ورغم صحة هذه التوجهات من حيث الأساس والجوهر إلا أنه ينبغي الإشارة ، بل التأكيد أن مفاهيم الجبهة لهذه الخطوط ومضامينها قد تقدمت وتعمقت كثيراً .

وفي هذا السياق تبرز أهمية المؤتمر الوطني الثالث للجبهة الشعبية الذي انعقد في آذار من العام ١٩٧٢ وأقر ثلاث وثائق بالغة الأهمية ، وهي :ــ

١ ــ الوثيقة السياسية / مهمات المرحلة الجديدة
٢ ــ النظام الداخلي
٣ ــ الدراسة التنظيمية حول التحول وبناء الحزب الثوري .

إن الإطلالة على هذه الوثائق ، وبالأخص النظام الداخلي الذي تمّ

اقراره لأول مرة في حياة الجبهة تبين مدى أهميتها في خلق الأساس الصلب لتحقيق التحول على الصعيد التنظيمي وبناء الحزب الثوري . فإقرار النظام الداخلي فتح الآفاق الجدية من أجل بناء حياة تنظيمية لينينية سليمة قائمة على أساس الترجمة الخلاقة لبنود ومواد هذه الوثيقة .

هكذا وبفضل مجموعة الوثائق والقرارات والتوجهات التي اتخذها المؤتمر الوطني الثالث للجبهة والهيئات التي نتجت عنه ، وبالترافق مع الجو الرفاقي وما أتاحه من فرصة لخوض الصراعات الموضوعية على أساس نظري وسياسي وتنظيمي ضمن الإنشداد إلى التناقض الرئيسي مع العدو تمكنت الهيئات القيادية أن تصل بالجبهة عشية المؤتمر الوطني الرابع إلى مستوى ما هو مرسوم في نظامها الداخلي وبشكل خاص تطبيق « المركزية الديمقراطية » بوصفها المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه الأحزاب الثورية في بنائها ونشاطها وذلك كله على أساس وحدة الجبهة واستمرارها في التحول بخطى ثابتة وراسخة نحو مواقع الاشتراكية العلمية .

من هنا نستطيع القول بأنه إذا كانت المواقف السياسية قبل المؤتمر الوطني الرابع هي أساس الحكم على يسارية الجبهة الشعبية ، فإن سيادة المركزية الديمقراطية والقيادة الجماعية والنقد والنقد الذاتي في العلاقات الحزبية الداخلية يعني أن مقياساً جديداً هو المقياس التنظيمي قد دخل حياة حزبنا في تحديد طابعه اليساري هكذا ذهبت الجبهة الشعبية إلى مؤتمرها الرابع وهي أقرب بالمقياس التنظيمي إلى المقياس الشيوعي في حياتها الداخلية ، وهذا الأمر يعد قفزة نوعية على صعيد التحول ، حيث

أصبح النظام الداخلي على أبواب المؤتمر وبعده هو الناظم الفعلي والحقيقي لمجمل الحياة الحزبية ، مما أتاح التطور التنظيمي اللاحق وبالأخص نحو التطبيق المبدع والخلاق للنظام الداخلي وذلك على طريق بناء الأداة الثورية الحديدية الصلبة .

في هذه الظروف الايجابية شكل المؤتمر الوطني الرابع لحزبنا الذي انعقد في نيسان ١٩٨١ بأعماله ووظائفه قفزة نوعية على طريق التحول من مواقع الديمقراطية الثورية إلى مواقع الاشتراكية العلمية . فالتقرير السياسي حدد على اساس الفهم الماركسي الأممي طبيعة الصراع على الساحتين الدولية والعربية . أما على الساحة الفلسطينية فقد تم تبني البرنامج المرحلي وذلك في ارتباطه الوثيق بالبرنامج الاستراتيجي وتحرير كامل التراب الفلسطيني . إن هذا التطور في المجال السياسي أتى ليعبّر عن المستوى الجديد المتقدم في امتلاك ناصية تعاليم الاشتراكية العلمية وترجمتها الخلاقة في النضال الوطني الفلسطيني .

أما التقرير التنظيمي فأتى بدوره نتاجاً للتطور النظري والسياسي والتنظيمي الحاصل في الجبهة . وقد لعب هذا التقرير استناداً إلى المسائل الجريئة والعلمية الواردة فيه دوراً هاماً في دفع عملية التحول على الصعيد التنظيمي فقد تعرض للمفاصل الأساسية لتطور الجبهة منذ نشأتها ولغاية المؤتمر الوطني الرابع ، الأمر الذي أتاح رسم الخط البياني العام لتطور الجبهة باتجاه بناء الحزب الطليعي .

وهنا أكّد حزبنا بأن تحقيق التطبيق المبدع والخلاق لمبادىء

وقواعد النظـام الداخلي يعني عمـليـاً التحول الكـامل على الصعيد التنظيمي ، وذلك بحكم ارتباط الجانب التنظيمي وبشكل عفوي بمسألة التحول على الصعيدين النظري والسيـاسي . فمسـألة التطبيق الخلاق للمبادىء التنظيمية المرسومة في النظام الداخلي ، وممارسـة حياة حزبية داخلية ديناميكية وسـليمة ليست مسألة تقنية فنية معزولة عن المسألة الفكرية ــ السياسية ، بل هي تصب في جوهر هذه الجوانب ، وذلك يعود لاستحالة الفصل التعسفي بين ما هو سياسي وما هو تنظيمي ، لأن كلاً منهما يمكن أن يتحول إلى الآخر ، حيث يعتمد النظام الداخلي في نهاية المطاف على مستوى تطور الحزب النظري والسياسي ، وبالتالي التنظيمي .

لذا ، فالمسألة التنظيمية بجوهرها تكمن في اعطاء أهمية للمضمون الفكري ــ السياسي في تجسيد مبادىء وقواعد النظام الداخلي . وتالياً ، يمكن الجزم في أن ممارسة الحياة التنظيمية الخلاقة والتطبيق المبدع للنظام الداخلي لا يمكن الحديث عنهما بمعزل عن التقدم النوعي في انجاز التحول على الصعيدين النظري والسياسي .

انطلاقاً من هذا الفهم الراسخ صاغت الجبهة الشعبية وثائقها في المؤتمر الوطني الخامس ، الذي شكل محطة نوعية جديدة في تطور حزبنا ، وفي هذا المجال شكل اقرار البرنامج السياسي لحزبنا خطوة مميزة . وقد عالج البرنامج السياسي طبيعة المرحلة التي تعيشها الثورة الفلسطينية بوصفها مرحلة تحرر وطني ، يناضل فيها الشعب الفلسطيني بكل طبقاته

وفئاته وشرائحه الاجتماعية الوطنية وقواه السياسية ، من أجل العودة وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة وذلك على طريق تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني وبناء دولة فلسطين الديمقراطية التي يتمتع جميع مواطنيها بحقوق متساوية بدون تمييز بسبب العرق أو الجنس أو المعتقد الديني . كما أشار البرنامج إلى أن الجبهة الشعبية تسترشد بالماركسية ــ اللينينية وبكل ما هو تقدمي في التراث الفكري والثقافي للشعب الفلسطيني وتقاليده النضالية المجيدة ، وبكل ما هو تقدمي في التراث الثقافي والفكري للأمة العربية والإنسانية جمعاء ، وتمارس الجبهة هذا الدور بوصفها فصيلاً متقدماً من فصائل الطبقة العاملة الفلسطينية ، تناضل مع باقي القوى اليسارية لبناء حزب الطبقة العاملة وعموم الكادحين الذي يهيىء هذه الطبقة لتأدية دورها التاريخي بالمشاركة الفاعلة والريادية في تحرير جماهير الشعب الفلسطيني من الاستعباد القومي والطبقي .

على الصعيد التنظيمي ، وبعد أن ناقش المؤتمر مسيرة الجبهة بشكل نقدي وعلمي مستخلصاً العبر والدروس أكّد على ضرورة تطوير الحياة التنظيمية والممارسة الخلاقة لمبادىء وقواعد النظام الداخلي ، بحيث تعطي الممارسة التنظيمية بعدها السياسي والفكري وتوسيع الديمقراطية الحزبية الداخلية وبما لا يضرب نشاط الحزب كذات موحدة وبما يتيح مستلزمات دوره المبادر في النضال الوطني ، ويعزز بالتالي من وحدة الإرادة والعمل لكافة أعضائه .

انطلاقاً من كافة المعطيات التي أشرنا إليها ، وارتباطاً بالانجازات

الكبيرة التي حققتها الجبهة الشعبية في عملية تحولها إلى حزب عمالي ماركسي ثوري ، فإن حزبنا يسعى في الظروف الجديدة إلى تجديد ذاته والمساهمة بتجديد الحركتين الثوريتين الفلسطينية والعربية وذلك من خلال الانخراط في عملية ذات بعدين متداخلين ومتكاملين وهما :ـــ

أولاً :ـــ « استمرار التعمق بإمتلاك المنهج المادي الجدلي في عموم الحزب وعلى صعيد القيادة والكادر خاصة ، ودراسة واقعنا الفلسطيني والعربي وظروف تطوره الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي وبالاستناد له ، أي بالإنكباب على انتاج ماركسيتنا الفلسطينية والعربية » .

ثانياً : « التجديد الديمقراطي والثوري الشاملين لحزبنا في مجالات نشاطه وحياته المختلفة ، وعلى اساس المنهج المادي الجدلي والاشتراكية العلمية ، والديمقراطية الواسعة في الحياة الحزبية الداخلية وفي العلاقة مع الجماهير » وبما يؤمن للجبهة بناء حزب طليعي جماهيري كفاحي يمثل طليعة الشعب الفلسطيني في النضال من أجل تحقيق أهدافه الوطنية المرحلية والاستراتيجية .

كما حدد المؤتمر المهمة التنظيمية لعمل الجبهة اللاحق والمشتقة من وحي وروح المهتمين الأساس ، هذه المهمة التي تتمثل في « توطيد بناء حزبنا الداخلي على أسس المركزية الديمقراطية كمفهوم شامل يقوم على الوعي والديمقراطية العميقة والواسعة ، وعلى وحدة الإرادة والعمل ، والعلاقات الرفاقية والإنسانية العميقة ، وأساليب ووسائل القيادة الحزبية

الديمقراطية ، والعمل الحزبي الملتزم بجماعية القيادة ، وحرية النقد والنقاش واحترام الراي الآخر ، وحق الأقلية في التعبير عن رأيها في الأطر المحدودة . وفي تنفيذ القرارات الحزبية بهمة ونشاط » . وان تمثل قيادة الجبهة أولاً وكادرها ثانياً مثلاً يحتذى به في صفوف الحزب والجماهير .

لكي يتم تقدير دور الحزب على الصعيد الوطني ، عبر المعالجة الصائبة للقضايا الوطنية ومصالح الشعب الجوهرية ، ولمشاكله اليومية ، بحيث يسير الاتجاهين الداخلي والخارجي في نفس الطريق ، وذلك يتوقف نجاحه على مدى دراسة واقعنا المعاش والمحيط في جوانبه كافة ، واستخراج السياسات والمواقف الواقعية والثورية ، لحل معضلات الواقع والثورة ؛ على أساس المنهج الماركسي المادي الجدلي . كما يتوقف دور الجبهة الوطني ، على قدرتها في خلق وايجاد حزب طليعي كفاحي جماهيري يحظى بثقة والتفاف الشعب وقواه الحية .

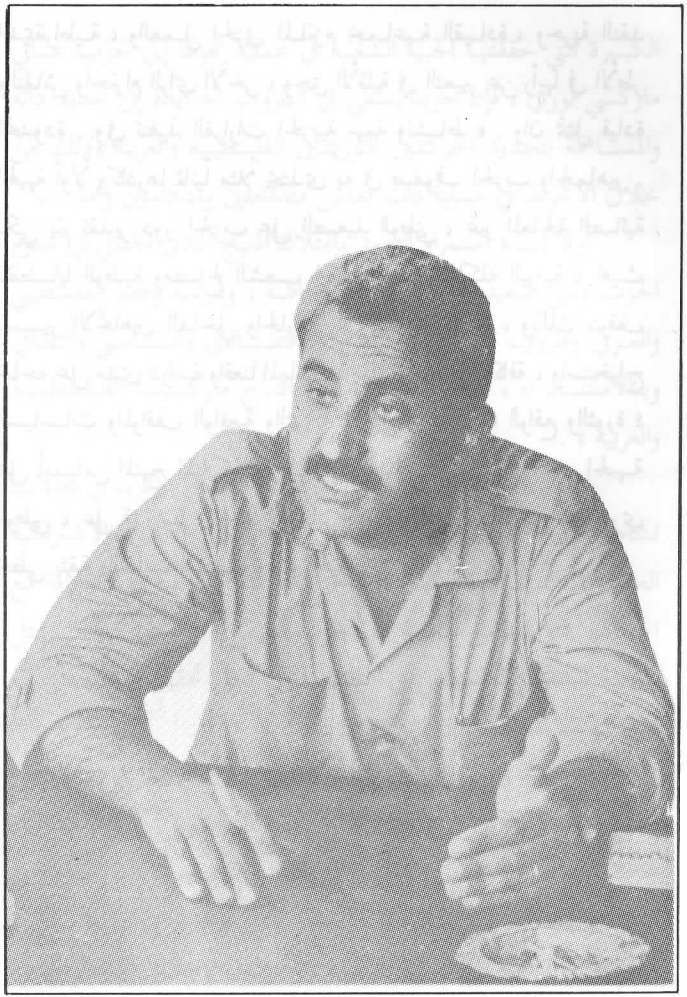

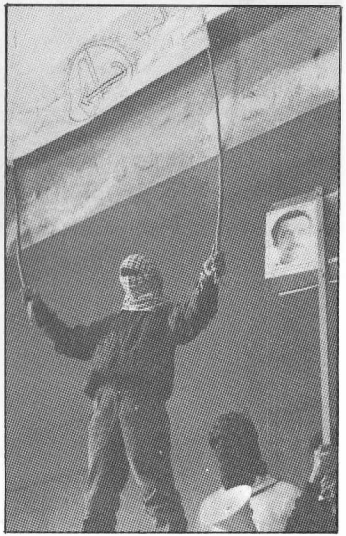

الجبهة الشعبية

حزب الانتفاضة المجيدة وبرنامج الاجماع الوطني

ينبع موقف الجبهة الشعبية من الانتفاضة الجبارة وكيفية التعاطي معها من الرؤية الواقعية الثورية لعدالة قضيتنا الوطنية ولإرادة شعبنا البطل في مواصلة النضال لتحقيق حقوقه الوطنية المشروعة. وقد شكلت هذه الرؤية أساس المواقف الوطنية الحازمة للجبهة الشعبية في مواجهة نتائج واستحقاقات حرب ١٩٨٢ . ففي مواجهة مخططات المعسكر المعادي ومبادراته التصفوية لحل القضية الفلسطينية أكدت الجبهة الشعبية على رفضها لتلك الطروحات وعلى ضرورة استمرار النضال بتفاؤل واقعي ثوري حتى تحقيق البرنامج الوطني الفلسطيني.

في هذا السياق أكدت الجبهة الشعبية على الأهمية المحورية للوطن المحتل في مواجهة مخططات التصفية وتصعيد النضال الوطني، الأمر الذي عكس نفسه في مجمل سياسات الجبهة السياسية والتنظيمية، بحيث شكل الداخل في فكر وممارسة الجبهة الركيزة الأساسية الأولى في نضالنا الوطني الفلسطيني.

هكذا ومع اشتداد الهجمة على القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير وتفاقم حالة التردي في الوضع العربي استطاع شعبنا الفلسطيني في الأراضي المحتلة أن يأخذ موقعه النوعي والطليعي في العملية الوطنية

الصراعية مفجراً الانتفاضة الجبارة في مواجهة الاحتلال الصهيوني ومعيداً الاعتبار لقضيتنا الوطنية ولمنظمة التحرير الفلسطينية محلياً وعربياً ودولياً.

لقد أتى انفجار انتفاضة الوطن المحتل ليؤكد صحة الرؤية الواقعية الثورية لعدالة قضيتنا ولإرادة شعبنا الوطنية الصلبة. هذه الرؤية التي تجلت بمنظومة العوامل الموضوعية والذاتية التي فجرت الانتفاضة وتغذي ديمومتها الظافرة نحو نيل الحرية والاستقلال. فعدالة القضية الوطنية تجسدت بتناقضات موضوعية حادة ومتفاقمة على الدوام بين الشعب الفلسطيني في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة والقدس الساعي إلى كنس الاحتلال تحقيق برنامج الاجماع الوطني من جهة وسلطات الاحتلال الساعية إلى ضم الأراضي المحتلة، وإقامة اسرائيل الكبرى من جهة أخرى. وتشمل هذه التناقضات كافة جوانب الحياة الرئيسية لشعبنا في الوطن المحتل بدءاً من القضايا الوطنية مروراً بالاقتصاد وصولاً إلى الثقافة ومجمل القضايا الاجتماعية العامة.

من جهتها تتمثل العوامل الذاتية بتعمق حالة الوعي الوطني وتقدم النشاط الهادف والمنظم في صفوف الشعب الفلسطيني بدءاً من الاتحادات الشعبية والنقابات وصولاً إلى فصائل العمل الوطني.

وإلى جانب هذه العوامل وغيرها احتلت احتفالات حزبنا بالذكرى العشرين للانطلاقة حيزاً هاماً في تفعيل الشارع الوطني وإذكاء شرارة الانتفاضة. ففي تلك المناسبة قامت منظماتنا الحزبية في الوطن المحتل بسلسلة مميزة من الفعاليات الجماهيرية والنضالية المختلفة التي لعبت

دوراً تفجيرياً متزايداً لغضب الجماهير وعنفها الثوري في مواجهة الاحتلال.

وفي مسار الانتفاضة أيضاً تميز حزبنا في الوطن المحتل بفاعليته البارزة في مختلف جوانب النضال الوطني لشعبنا البطل بدءاً من الصدامات العنيفة مع الاحتلال الغاصب، وصولاً إلى البناء المثابر والدؤوب لمداميك الدولة الفلسطينية المستقلة. وعلى هذا الطريق، طريق الوطن والجماهير، طريق التضحية والبطولة، طريق الكرامة والشرف قدم حزبنا عشرات الشهداء وآلاف الجرحى والمعتقلين ممثلاً بذلك قدوة نضالية وطنية رائدة لجماهيرنا في سعيها لتحقيق أمانيها الوطنية والاجتماعية.

ومن خضم الانتفاضة، من مواقع الصفوف الأولى لمواجهة الاحتلال وقيادة الشعب في نضاله الوطني، تميزت الجبهة الشعبية بنظرة علمية للواقع الجديد. فقد رأت الجبهة الشعبية بأن الانتفاضة تمثل مرحلة نوعية جديدة في النضال الوطني الفلسطيني تفتح الآفاق الرحبة أمام تحقيق هدف الحرية والاستقلال الذي بادرت الجبهة الشعبية لرفعه باعتباره هدفاً سياسياً ناظماً للانتفاضة. وتتميز هذه المرحلة بالسمات التالية:

ـ انتقال ثقل النضال الوطني الفلسطيني من الخارج إلى الداخل، لتعلن الانتفاضة من خلال ذلك الانتقال استمرار الثورة الفلسطينية المعاصرة في ظروف نوعية جديدة هي ظروف الأراضي المحتلة لعام

١٩٦٧، ومفجرة حرب الشعب بالخصوصية الفلسطينية.

كما وفّر انتقال مركز الثورة إلى أرض الوطن الأساس المادي لاستقلال القرار الوطني الفلسطيني، وبالتالي لخلق التوازن الموضوعي المطلوب بين الحركة الوطنية الفلسطينية والأنظمة العربية بمختلف تلاوينها واتجاهاتها.

ـــ الطابع الجماهيري الشامل للانتفاضة، من حيث مشاركة كافة الطبقات والفئات الاجتماعية الرئيسية وكافة المناطق والفئات العمرية فيها.

ـــ الطابع الديمقراطي، حيث استطاعت الانتفاضة أن تشل جوانب القوة في معسكر العدو، أي آلته العسكرية والأمنية، وتبرز جوانب ضعفه من خلال أزمة هذه الآلة العدوانية في مواجهة شعب أعزل يناضل ديمقراطياً لنيل حقوقه الوطنية المشروعة. وعلى العكس من ذلك استطاعت الانتفاضة أن تبرز جوانب القوة لدى الشعب الفلسطيني في ظروفه الخاصة في الأراضي المحتلة من جهة وأن تخفي جوانب ضعفه من جهة أخرى، وبالأخص غياب القدرة على مواجهة الاحتلال عسكرياً.

ـــ إعادة الاعتبار للعنصر الفلسطيني في إطار الصراع العربي ـــ الصهيوني بوصفه محوراً رئيسياً في هذا الصراع لا يمكن القفز عنه وتجاوزه لا في الحرب ولا في السلم.

ـــ فك العزلة عن القضية الوطنية الفلسطينية ومنظمة التحرير

على كافة الصعد وفي شتى المحافل العربية والدولية، ومن نتائجها المباشرة وقف حرب المخيمات ضد شعبنا الفلسطيني في لبنان.

ـــ تعميق وتطوير وعي الشعب الفلسطيني وترسيخ قيم ومفاهيم جديدة في حياته وذلك في المجالات المختلفة الوطنية والاجتماعية العامة والاقتصادية والثقافية وغيرها.

ـــ نسف العديد من مقولات الايديولوجيا الصهيونية الأساسية، ونذكر منها على سبيل المثال مقولة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» التي تنفي من حيث المبدأ وجود الشعب الفلسطيني أي النقيض التاريخي للمشروع الصهيوني في فلسطين وكذلك نظرية الأمن الاسرائيلية. فقد نقلت الانتفاضة الحرب ضد اسرائيل إلى داخل الأراضي المحتلة، وهددت بإشعال النار داخل الكيان الصهيوني نفسه.

كما وتتميز المرحلة الجديدة بتفاقم تناقضات مجتمع العدو وإبراز عدوانيته وهمجيته وبالتالي أزمته الأخلاقية والايديولوجية والسياسية والعسكرية أمام الرأي العام الاسرائيلي نفسه، والرأي العام العالمي كذلك. ونلاحظ على هذا الصعيد تزايد حالة الاستقطاب السياسي داخل المجتمع الاسرائيلي فمن جهة يتبلور اليمين الاسرائيلي، وتتضح أطروحاته العنصرية الفاشية الداعية إلى التصفية السافرة لقضية الشعب الفلسطيني من خلال ضم الأراضي المحتلة، والقيام بالترحيل الجماعي لجماهيرنا إلى خارج أرض الوطن. وفي المقابل نرى ازدياد دور قوى السلام في الكيان الصهيوني التي حاولت أن تقرأ بعقلانية الرسالة التاريخية لانتفاضة شعبنا، الأمر الذي

دفعها ولو بنسب متفاوتة إلى الاعتراف بحق شعبنا في الوجود وفي تقرير مصيره على أرضه الوطنية.

على أساس معطيات هذه المرحلة الجديدة في النضال الوطني الفلسطيني رأت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بأن الانتفاضة الجبارة لشعبنا البطل في الوطن المحتل قد نقلت شعار الدولة المستقلة من حيز الامكانية التاريخية إلى حيز الامكانية الواقعية.

إلا أن تحقيق هذه المهمة العظيمة يعتبر قضية نضالية معقدة، شاقة وطويلة، وتتطلب سياسة وطنية متزنة قادرة على رؤية الواقع بمعطياته الفعلية. وهنا ترى الجبهة الشعبية بأن العامل الأساسي في تحقيق هذه المهمة الجليلة يتمثل بالنضال لاستمرار الانتفاضة وتجذيرها وتصعيدها لبلوغ مراحل نضالية أعلى تمكن من إحداث تعديل في ميزان القوى المختل حالياً لصالح العدو الصهيوني وحلفائه.

من هنا وفي مواجهة هذا التحدي طرحت الجبهة الشعبية شعار «الانتفاضة محور عملنا» جاهدة من خلاله إلى تسخير كافة نشاطات حزبنا داخل الوطن المحتل، وخارجه، لخدمة الانتفاضة وتطويرها وصولاً إلى تحقيق هدفها الرئيسي المعلن ــ الحرية والاستقلال. وفي الوقت نفسه عملت الجبهة وبشكل دؤوب، لكي يتحول هذا الشعار العظيم إلى ناظم لنشاطات م.ت.ف. ومجمل الحركة الوطنية الفلسطينية بقواها السياسية والشعبية والنقابية.

لكن، وللأسف الشديد، فإن نظرة اليمين الفلسطيني مجسدة

بمواقف القيادة المتنفذة في م.ت.ف. وقفت عائقاً جدياً أمام هذا المسار الواقعي الثوري للنضال الوطني الفلسطيني. وتمثلت هذه النظرة بأطروحة الاستثمار السياسي السريع للانتفاضة، ونهج تقديم التنازلات المجانية. ويكمن في أساس هذه النظرة الخاطئة عدم الفهم الدقيق للانتفاضة، وبالتالي عدم الثقة بإمكانية استمرارها وتطويرها، فاليمين الفلسطيني نظر وينظر إلى الانتفاضة كمحطة عابرة يجب استثمارها بأقصى سرعة ممكنة متجاهلاً بذلك جوهرها المتمثل بكونها، أي الانتفاضة، قد تحولت فعلياً إلى نمط حياة للشعب الفلسطيني.

وبرأينا فإن نظرة اليمين إلى الانتفاضة تعود بجذورها القريبة إلى الرؤية الخاطئة في التعاطي مع حرب ١٩٨٢ ونتائجها. فقد رأى ذلك اليمين في نتائج تلك الحرب هزيمة كاملة للمشروع الوطني الفلسطيني وهيمنة أمريكية مطلقة على مصير المنطقة ومقدراتها، الأمر الذي دفعه بعيداً عن الايمان بحركة الشعب الفلسطيني وامكانياته في مواجهة تحديات المرحلة، وبالتالي الارتماء في أحضان المشروع الأمريكي لتسوية أوضاع المنطقة، ومن ضمنها القضية الفلسطينية آملاً بذلك إيجاد موقع ما له في هذه العملية التصفوية.

من هذا السياق على وجه التحديد نظر اليمين الفلسطيني إلى الانتفاضة وتعاطى معها في المجالات كافة. فبدلاً من التعاطي مع الانتفاضة كمرحلة نوعية، متقدمة، جديدة في النضال الوطني الفلسطيني

تفتح آفاقاً رحبة أمام تحقيق برنامج الاجماع الوطني، فإنه ـــ إي اليمين ـــ نظر إليها كحدث وطني هام يجب استثماره سياسياً ودبلوماسياً بشكل سريع لتحسين الموقع الفلسطيني في عملية التسوية المطروحة وفق المخطط الأمريكي لترتيب أوضاع المنطقة.

على هذا الأساس تبلور في الساحة الفلسطينية نهجان في النظرة إلى الانتفاضة وكيفية التعاطي معها، نهج واقعي ثوري مثلته أساساً طروحات وممارسات الجبهة الشعبية ويرى ضرورة التركيز أولاً وأخيراً على الانتفاضة من حيث أنها رافعة النضال الوطني الفلسطيني وقاطرته الأساسية نحو تحقيق الحقوق الوطنية المشروعة لشعبنا الفلسطيني.

وبالطبع فإن التركيز على الانتفاضة لا يعني وبأي حال من الأحوال التقليل من أهمية الأشكال النضالية الأخرى وبالأخص السياسية منها والدبلوماسية. ولكننا نرى أن جميع أشكال النضال يجب أن تنطلق من الحلقة المركزية للنضال الوطني الفلسطيني ولخدمتها، أي من الانتفاضة وإلى الانتفاضة. فالانتفاضة باستمرارها وتجذيرها وتطويرها هي التي ستقود أساساً إلى تعديل ميزان القوى على الأرض وذلك من خلال تكبيد الاحتلال ومجتمعه العدواني المزيد من الخسائر الاقتصادية والبشرية النفسية، وبالتالي فتح الطريق الواقعي نحو تحقيق برنامجنا الوطني ـــ برنامج العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

على العكس من ذلك، فإن النهج الآخر، إي النهج اليميني، وفي

الممارسة وبعيداً عن الشعارات الديماغوجية المعلنة رأى في النشاط السياسي والدبلوماسي الحلقة المركزية في النضال الوطني الفلسطيني، الأمر الذي دفعه إلى التعاطي مع الانتفاضة على أساس نظرة استخدامية، سطحية، متسرعة وضيقة الأفق.

نتيجة للموقع المتنفذ الذي يحتله أصحاب النهج اليميني في قيادة م.ت.ف. وفي التصرف بإمكاناتها المختلفة كانت لسياستهم وممارساتهم نتائج مدمرة على مسار الانتفاضة ومكانة منظمة التحرير في الحركة الوطنية الفلسطينية. فبدلاً من الالتفاف أولاً وأساساً إلى الانتفاضة ومتطلباتها وهمومها ومشاكلها بغية الحفاظ عليها ـــ أي الانتفاضة ـــ وتطويرها، كان اهتمام القيادة المتنفذة يتركز على النشاط السياسي والدبلوماسي بما في ذلك تقديم التنازلات المجانية واحداً تلو الآخر.

وقد أدى هذا النهج اليميني الخاطىء إلى إضعاف الانتفاضة وزعزعة الوحدة الوطنية الفلسطينية وتقديم الأساس المادي لتعزيز مواقع الاسلام السياسي في إطار الحركة الوطنية الفلسطينية وذلك على حساب م.ت.ف.

من هذا المنطلق نشأ وينشأ الاختلاف بين النهج الواقعي الثوري الذي مثلته في المقام الأول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والنهج اليميني الذي مثلته القيادة المتنفذة في م.ت.ف. بممارساتها السياسية الهابطة في خضم مسيرة الانتفاضة والنضال الوطني الفلسطيني.

بالرغم من هذا الاختلاف الجوهري في الرؤيا والممارسة، إلا أن

الجبهة الشعبية وانطلاقاً من مواقع المسؤولية الوطنية العالية وإدراكاً منها لفهم مرحلة التحرر الوطني وحالة الوحدة والصراع التي تكتنف أقطابها الطبقية ــ السياسية المختلفة عملت على استيعاب التناقضات داخل الصف الوطني وبما يخدم النضال ضد الاحتلال.

وقد انطلقت الجبهة الشعبية في صياغة سياستها في هذه اللحظات المصيرية من فهمها الواقعي الثوري لـ م.ت.ف. فالمنظمة بالنسبة لنا أكبر من جبهة وطنية، فهي الكيان الوطني السياسي والمعنوي لشعبنا الفلسطيني وممثله الشرعي والوحيد. لذا فإن خصوصية م.ت.ف. ككيان سياسي ومعنوي وممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني تجعلها تتمايز عن تجارب التحالفات والجبهات الوطنية في البلدان الأخرى، فهذه الجبهات والائتلافات تظهر وتختفي لكن كيانها المجتمعي السياسي لا يتأثر بذلك. وبهذا المعنى أيضاً تعتبر م.ت.ف. الانجاز الوطني الأبرز لثورتنا الفلسطينية المعاصرة.

وفي الوقت نفسه فإننا نؤكد بأن من يخرج عن برنامج منظمة التحرير وخطها الوطني وما تمثله من كيانية وطنية في حياة ووجدان شعبنا، فإنه سيكون في نهاية المطاف خارج هذا الكيان، خارج م.ت.ف.

على هذا الأساس رسمت الجبهة الشعبية سياستها في مواجهة الواقع القائم ضمن الأولويات التالية:

ــ العمل على ترجمة شعار الجبهة «الانتفاضة محور عملنا» عبر

وضع كل الإمكانات في خدمة هذه المهمة وبرمجة مختلف نشاطات وفعاليات هيئات الجبهة المركزية انطلاقاً من هذه الرؤية.

ــ اعتبار الوحدة الوطنية الفلسطينية وم.ت.ف. الحلقة المركزية في عمل الجبهة لدعم الانتفاضة واستمرارها وتوفير مستلزمات تجذيرها وتصعيدها لبلوغ أهدافها في الحرية والاستقلال.

ــ التصدي لخطر الاجهاض السياسي للانتفاضة وذلك من خلال النضال ضد تذبذب البرجوازية الفلسطينية وميوعتها السياسية وتنازلاتها المجانية، وكذلك محاربة السياسات التصفوية والعمل على منع أي تسوية لا تحقق الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني كما هي واردة في برنامج الاجماع الوطني.

ــ العمل على اقناع البرجوازية بإجراء مراجعة نقدية شاملة لسياسة م.ت.ف. منذ إندلاع الانتفاضة، وكذلك النضال لإجراء اصلاح تنظيمي في بنية ومؤسسات ونشاط م.ت.ف.

وهنا لا يمكن أن نقيس عملية الاصلاح في المنظمة بمدى حصتنا أو حصة الآخرين في مؤسساتها وهياكلها المختلفة فحسب، فهذا منطق يجب أن تتجاوزه الحياة، إنه نطق فئوي ضيق ولا يقدم الحلول للقضية المطروحة. ما يقدم الحلول هو جدية إعادة بناء الوضع المؤسساتي وآليات العمل القائمة في منظمة التحرير بما يتجاوب مع طبيعة البرنامج الوطني والأسس الجبهوية الديمقراطية.

لكن وبالرغم من السياسة الوطنية المسؤولة والمتزنة للجبهة الشعبية

ولعدد من القوى السياسية الفاعلة في إطار الحركة الوطنية الفلسطينية فان أقطاب النهج اليميني في القيادة المتنفذة لمنظمة التحرير وتحت يافطة « الاعتدال » و« المرونة » و« الواقعية » السياسية استمروا في تقديم التنازلات المجانية على حساب البرنامج الوطني. وقد استمر النهج اليميني بمساره الانحداري وصولاً إلى هاوية مؤتمر مدريد والانخراط بالعملية السياسية التي أطلقها والهادفة فعلياً إلى ترسيم الهيمنة الامبريالية الامريكية والصهيونية على الوطن العربي وتصفية قضية الشعب الفلسطيني.

وبانخراط القيادة اليمينية المتنفذة في م.ت.ف فيما يسمى بـ « عملية السلام » هذه دخل النضال الوطني الفلسطيني أزمة حادة وخطيرة جداً تهدد مكتسبات الشعب الفلسطيني في ثورته المعاصرة وتختزل حقوقه الوطنية المشروعة في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة إلى مجرد للحكم الاداري الذاتي أي السقف الاسرائيلي «لحل القضية» الفلسطينية.

في مقابل هذا الطرح التصفوي أكدت الجبهة الشعبية على التمسك بالثوابت الوطنية ومقاطعة مسار مدريد واشنطن ونقل القضية الوطنية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة وعقد مؤتمر دولي لتسويتها على أساس قرارات الشرعية الدولية التي تعترف وعلى عكس مدريد واشنطن بحقوقنا الوطنية المشروعة. وفي مواجهة المشاركة الفلسطينية في العملية السياسية الجارية وإمكانية التوقيع على اتفاق يصفي قضيتنا الوطنية وانطلاقاً من قناعاتنا الديمقراطية طالبت وتطالب الجبهة الشعبية باستفتاء

شامل للشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده، في الداخل والخارج ليقول كلمته الفاصلة في مسار الحل المطروح.

هكذا وفي ظروف العملية السياسية الجارية وكامتداد للنهجين القائمين في التعاطي مع الانتفاضة تبلور أيضاً في الساحة الفلسطينية نهجان في التعاطي مع التحديات المطروحة؛ النهج اليميني المتكيف مع المشروع الأمريكي ــ الاسرائيلي، والنهج الواقعي الثوري المتمسك بالبرنامج الوطني الفلسطيني مع عدم إغفاله لأهمية المرونة السياسية وأخذه بعين الاعتبار ميزان القوى الدولي والاقليمي والمحلي في خوض الصراع ضد الاحتلال الاسرائيلي.

إن انخراط القيادة اليمينية المتنفذة في العملية السياسية التصفوية الجارية لم يأت من فراغ ولا من سحابة صيف عابرة وإنما شكل نتاجاً منطقياً لمسار طويل، مائع ومتذبذب في النظرة إلى آليات ووسائل تحقيق برنامج الاجماع الوطني. فالنظرة إلى حرب ١٩٨٢ ونتائجها والتعاطي معها والتوقيع على اتفاق عمان، ونظرة الاستثمار السياسي السريع للانتفاضة، ومسلسل التنازلات المجانية، كل هذا وغيره أيضاً قاد في نهاية المطاف إلى الوقوع في مستنقع التسوية الامريكية.

في ظل هذا الوضع النوعي الجديد المتمثل باستبدال برنامج الاجماع الوطني ببرنامج الحكم الاداري الذاتي كان لابد أن تختلف كلياً طبيعة التصدي للنهج اليميني التفريطي، المنخرط في عملية مدريد.

على هذا الأساس وانطلاقاً من التمسك ببرنامج الاجماع الوطني وب

م.ت.ف ممثلاً شرعياً ووحيداً لشعبنا الفلسطيني ومواجهة مؤامرة الحكم الاداري الذاتي التي يطرحها عملياً المشروع الامريكي ــ الاسرائيلي في العملية السياسية الجارية أعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عن رفضها للمشاركة الفلسطينية في مسار الحل الامريكي. إلا أنه وبعد مشاركة القيادة المتنفذة لمنظمة التحرير في هذه العملية ضاربة بعرض الحائط الاشتراطات التي وضعتها مختلف المؤسسات الوطنية الفلسطينية وفي مقدمتها المجلس الوطني الفلسطيني، وكتعبير عن موقفها الرافض للمشاركة وعن مدى خطورة الوضع أعلنت الجبهة الشعبية عن تجميد عضويتها في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير.

ومع مسار المفاوضات والوضوح السافر لطابع التسوية التصفوية المطروحة بشأن القضية الفلسطينية حاولت الجبهة الشعبية مرارا وبنفس وطني مسؤول ثني القيادة المتنفذة لمنظمة التحرير عن نهجها التفريطي، والقيام بمراجعة سياسية شاملة بناء على معطيات التجربة الملموسة للتسوية. إلا أن هذه الدعوات الجدية المسؤولة لم تلقَ آذاناً صاغية لدى أصحاب النهج اليميني، حيث واصلوا مسارهم الانحداري الخطير باتجاه ضرب البرنامج الوطني والقبول بالحكم الاداري الذاتي.

من هنا أصبح الاستقطاب الموضوعي القائم في الساحة الفلسطينية يتمثل بمن مع البرنامج الوطني ومن مع برنامج الحكم الاداري الذاتي. وكان من الطبيعي أن تبادر الجبهة الشعبية في ظل هذا الوضع النوعي الجديد إلى العمل لتكتيل كافة القوى الوطنية الفلسطينية دفاعاً

عن البرنامج الوطني وعن م.ت.ف. ومواجهة النهج اليميني التفريطي والمؤامرة التصفوية، وعلى هذا الأساس أطلقت الجبهة الشعبية الشعار السياسي التالي في مواجهة المرحلة القائمة:

«الدفاع عن م.ت.ف. والتصدي للمؤامرة التصفوية وإسقاطها، والعمل من أجل تحقيق البرنامج الوطني في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس».

ونحن على قناعة تامة بأننا لمنتصرون بالشعب الفلسطيني وعدالة قضيته وإرادته الصلبة في النضال ضد مؤامرة الحكم الاداري الذاتي ومن أجل نيل حقوقه الوطنية المشروعة.

وعلى هذا الطريق ستبقى جبهتنا جبهة المكافحين من أجل الحرية والاستقلال.

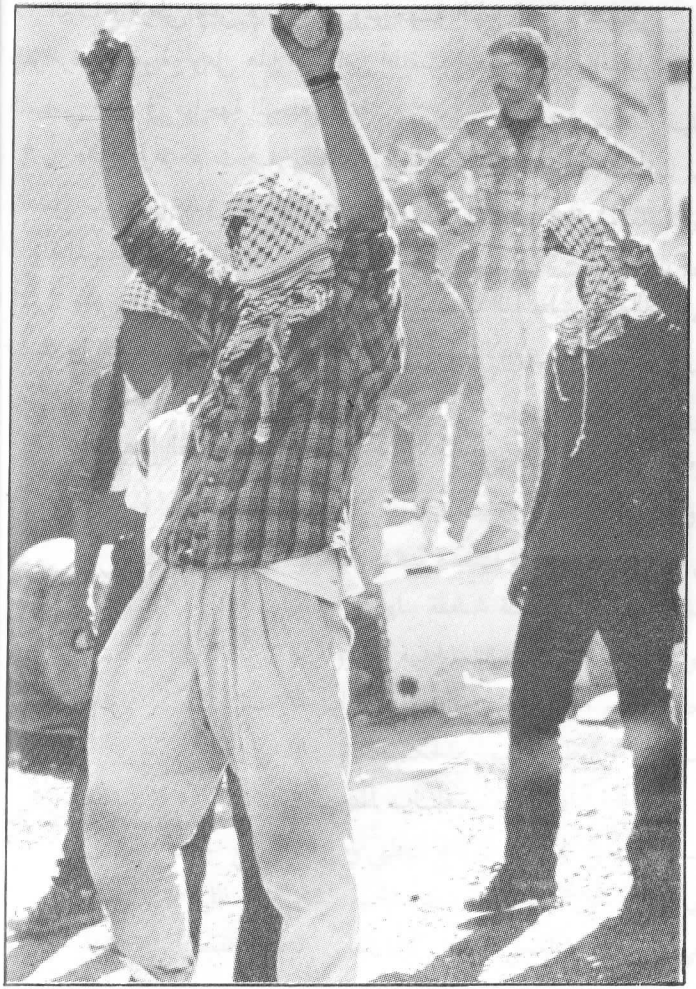

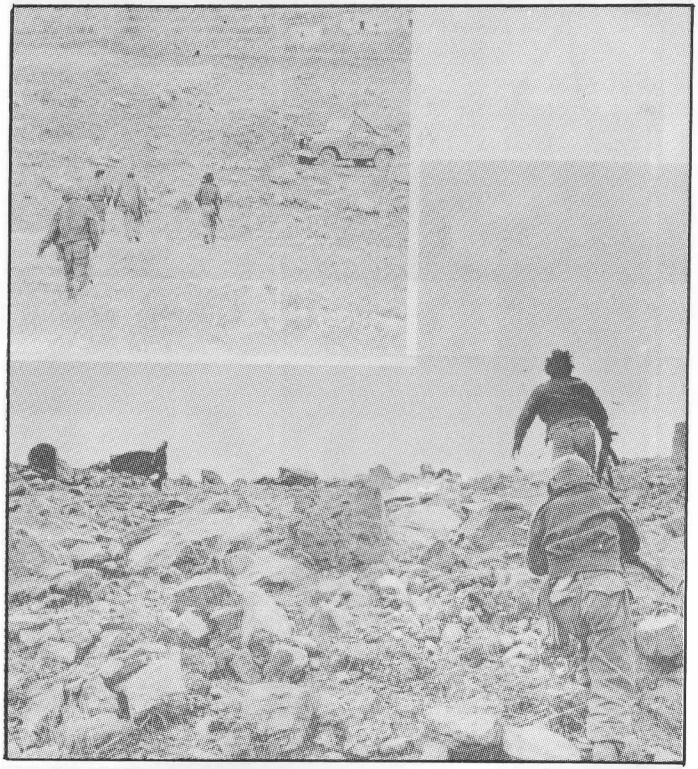

الجبهة الشعبية

والكفاح المسلح شعلة مضيئة في مسار التجربة

«إن الهدف السياسي للحركة الوطنية الفلسطينية هو تحرير فلسطين. وهذا الهدف لا يمكن أن يتم إلا من خلال الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية الطويلة الأمد... إن استراتيجية الكفاح المسلح يجب أن تنعكس بطبيعة الحال على استراتيجية بناء الحزب بحيث يتم هذا البناء على ضوء مصلحة القتال ومتطلباته وبشكل يعكس نفسه على بنية الحزب والعلاقات داخل التنظيم وطبيعة تكويناته القيادية أو مادته التثقيفية أو نظامه الداخلي».

بهذه الكلمات البسيطة عبرّ حزبنا في وثيقته الأساسية الأولى ــ «الاستراتيجية السياسية والتنظيمية» ــ عن فهمه لمكانة الكفاح المسلح الأساسية في نضال شعبنا الفلسطيني وفي بناء ونشاط قواه الوطنية الثورية.

بالطبع، فإن التأكيد على الأهمية العالية للكفاح المسلح يرتبط أساساً بمفهوم حزبنا لدور العنف الثوري بشكل عام في التصدي للمشروع الصهيوني الاستيطاني الاقتلاعي الذي نواجهه على تراب الوطن. فهذا المشروع القائم على العنف والعدوان والحرب لا يمكن مواجهته والانتصار عليه إلا بالعنف الثوري المنظم للجماهير الشعبية،

فالعنف الرجعي لا يمكن أن يقابل إلا بالعنف الثوري لشعب أبى إلا أن يناضل من أجل كرامته الوطنية والقومية.

في هذه الظروف المعقدة والصعبة المحيطة بقضيتنا الوطنية وبالاخص الطبيعة العدوانية العسكريتارية، الحربية، للعدو الصهيوني الذي نواجهه، فإن الكفاح المسلح، التجلي الأرقى للعنف الثوري، يفرض نفسه موضوعياً كشكل رئيسي لنضال شعبنا الفلسطيني من أجل تحقيق أهدافه الوطنية العادلة والمشروعة.

على هذا الأساس نشأت الجبهة الشعبية وتطورت، واضعة مهمة بناء الحزب السياسي المقاتل هدفاً مركزياً في بنائها ونشاطها. وهذا الهدف ليس غاية في حد ذاته، بل يشكل بقناعتنا الراسخة أحد أهم العوامل المطلوبة في نضال شعبنا لتحقيق الانتصار على عدو مدجج بالسلاح من رأسه حتى أخمص قدميه، معبأ حتى العظم بالعقائد العنصرية الفاشية، مشبع حتى الثمالة بالروح التوسعية والعدوانية.

وتبين الإطلالة على تجربة الكفاح المسلح في مسيرة حزبنا النضالية بإن بداياته تعود إلى ما قبل إنطلاقة الجبهة في عام ١٩٦٧، أي إلى تلك الفترة التي سعت فيها حركة القوميين العرب للقيام ببعض المحاولات الجادة لبلورة خط كفاحي عسكري تجسيداً لشعارها «الثأر». وقد قامت الحركة بتدريب أول مجموعات من اعضائها في نهاية الخمسينات في دولة الوحدة وذلك استعداداً للقيام ببعض المهمات الكفاحية داخل الوطن المحتل. وتم بالفعل إرسال دوريات استطلاعية

للأرض المحتلة بهدف جمع المعلومات، واستطلاع الأهداف، والتعرف على الأرض، وإقامة الخلايا السرية، أي بناء الأساس المتين لممارسة الكفاح المسلح داخل الوطن المحتل. ونتيجة لذلك سقط عدد من الشهداء والاسرى والمعتقلون كان منهم الشهيد خالد أبو عيشه أول شهداء الحركة الذي استشهد في ٢/ ١١/ ١٩٦٤، والشهداء رفيق عساف ومحمد اليماني وسعيد العبد في العام ١٩٦٦ وغيرهم.

إلا أن الحركة، ورغم التطور الذي حصل في حياتها وجسمها التنظيمي نتيجة التفكير لسلوك منهج العنف الثوري، وممارسة الكفاح المسلح، بقيت أسيرة لطبيعتها وبنيتها الطبقية ، والايديولوجية والسياسية، التي أبقتها محكومة للفكر البرجوازي القومي الذي حال دون أن تدرك وتطرح أسلوباً واستراتيجية بديلين لمفاهيم البرجوازية الوطنية الناصرية، استراتيجية تقوم على أساس تعبئة طاقات كافة الجماهير وزجها في حرب تحرير شعبية طويلة الأمد كما عملت لاحقاً. بل أبقيت الحركة أفقها وفعلها محصوراً ضمن سياسات عبد الناصر، ودفعت شعار «فوق الصفر وتحت التوريط»، والذي يعني عدم السماح بتوريط الأنظمة العربية في حرب مع اسرائيل، لعدم قدرة هذا النظام المتآمر أو العاجز على مواجهة الكيان الصهيوني، دون الاعداد الذاتي أولاً، إلا أن هذه السياسة لقيت فشلها وأثبتت عجزها الذريع، وانكشفت حقيقتها في هزيمة حزيران ١٩٦٧ .

ومن هنا، فإن العمل العسكري قد بدأ نظرياً وعملياً في كنف

حركة القوميين العرب قبل عام ١٩٦٧، لكنه تبلور واغتنى زخماً ووتيرة واتخذ أبعاداً جديدة مع تشكيل الجبهة الشعبية، لأن هزيمة حزيران خلقت ظروفاً موضوعية جديدة ساعدت على نمو ظاهرة المقاومة الفلسطينية المسلحة، بعد أن كانت ظاهرة ملاحقة ومقموعة من قبل الأنظمة العربية، وهذا النمو يعود أولاً إلى هزيمة حزيران بكل ما تعنيه من إنهيار وفشل البرامج البرجوازية الوطنية الفلسطينية واتضاح عجزها عن المواجهة للكيان الصهيوني وتحرير الوطن المغتصب، وبسبب الحالة التي وصل إليها النظام الأردني الذي تفككت مؤسسته العسكرية وأدوات قمعه، وسبب أهم يكمن في أن اسرائيل قد احتلت جميع الأراضي الفلسطينية وجزاءهاماً من أراضٍ عربية، هذه العوامل الموضوعية وبحكم ترابطها وتأثيرها على العامل الذاتي الفلسطيني أدت إلى انفجار البركان الثوري الفلسطيني ونموه بوتائر سريعة.

وبلورت الجبهة فكرها العسكري في أعقاب حرب ١٩٦٧، التي تعتبر وبحق العالم الأساس في انطلاقة الثورة الحقيقية، حيث احتلت الأرض المحتلة (الداخل) الموقع الأساس في استراتيجية الجبهة، وأحتل الخارج موقع السند والداعم، على هدى شعارها القائل «الداخل هو الأساس والخارج هو الرديف».

ومارست ذلك من خلال الجزء الأكبر من مقاتليها وأسلحتها في المناطق المحتلة، وأكدت على ضرورة خوض حرب العصابات التي تمنع المجابهة المباشرة مع العدو، وفقط ما هو مطلوب هو مهاجمة نقاط ضعفه

والانسحاب السريع، كما رأت وعملت أيضاً على أن حرب العصابات في الحالة الفلسطينية، تشمل داخل الأرض المحتلة قتال المدن والريف على حد سواء بشكل سري وشبه علني، كما تشمل العمليات العصابية عبر الحدود العربية أو خارج المنطقة العربية.

وكانت الجبهة الشعبية التنظيم السياسي الأول الذي تبنى الاشتراكية العلمية ومارس الكفاح المسلح في الثورة الفلسطينية المعاصرة ، وفي هذا بالضبط تكمن اضافة الجبهة النوعية ــ الأمر الذي أعطاها موقعاً مميزاً في الساحة الفلسطينية والعربية والدولية .

لقد مارست الجبهة الشعبية استراتيجيتها العسكرية على اساس ركيزتي الداخل والخارج والعمل على تكاملهما بما يخدم نضال شعبنا الفلسطيني وذلك في الظروف المختلفة التي مرت وتمر بها ثورتنا الفلسطينية المعاصرة .

أ ــ الأرض المحتلة ــ الركيزة الأساسية الأولى

لقد استطاع تنظيم الجبهة في الأرض المحتلة ان يشكل حالة مميزة منذ اللحظات الأولى للاعلان عن ولادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ففي قطاع غزة الذي توفر فيه السلاح بكميات ضخمة ، استطاع التنظيم أن يحول القطاع إلى ساحة مواجهة يومية مع قوات الاحتلال الصهيوني ، فقد نفذ مئات العمليات العسكرية ، في فترة

وجيزة، مما حدا بسلطات الاحتلال أن تحول القطاع إلى منطقة عسكرية شبه مغلقة ، وتميز العمل العسكري في القطاع بالالتفاف الجماهيري الكبير حوله منذ بداية الاحتلال عام ١٩٦٧ ، فلم يكن الفدائيون الأشاوس أفراداً منعزلين أو مجموعات متناثرة صغيرة أو نخبوية ، بل كانت المشاركة الجماهيرية كبيرة وتستند إلى تعاطف وتأييد ودعم وحماية الجماهير الغفيرة خاصة سكان المخيمات المنتشرة في القطاع .

ولقد مارست الجبهة خطها العسكري في مقاتلة الاحتلال بعد اسبوع واحد فقط على هزيمة حزيران من خلال تنظيم حركة القوميين العرب ، الذي شكل تحالف (طلائع المقاومة الشعبية) مستفيدة من الامكانيات والكوادر العسكرية المتوفرة هناك ، حيث تواجد جيش التحرير ، ومتدربو التعبئة والاحتياط الفلسطيني ، مما وفر امكانيات لبدء عمل عسكري مسلح ضد الاحتلال ، وطول سنوات (٦٧ ــ ٧٣) التي تعتبر الفترة الذهبية للعمل الفدائي في الضفة والقطاع خاضت الجبهة نضالاً عسكرياً فعالاً ومكثفاً في جميع المناطق متميزة بالثقل الأساس والأكبر من بين فصائل العمل الوطني الفلسطيني على صعيد الزخم العسكري العملياتي والاعتقالات والمطاردات... الخ.

لقد وصل زخم العمليات العسكرية الفدائية في القطاع ، درجة اضطرت معها قيادات العدو أن تعترف بأن الفدائيين يسيطرون على غزة في الليل وهم يسيطرون عليها في النهار ، وأن يصرحوا بأن الجبهة الشعبية هي التي تقود هذا القتال في قطاع غزة ، وتميزت في هذا الاطار تجربة

الرفيق الشهيد جيفارا غزة (محمد محمود الأسود) ، هذه التجربة التي مثلت كابوساً وعباً حقيقياً لقوات الاحتلال الاسرائيلي ، ولذا فقد جندت هذه القوات الغازية خيرة قطاعاتها العسكرية وخبرائها الأمنيين لإنهاء هذه الظاهرة الفريدة ، في ٧٣/٣/٩ ، سقط القائد جيفارا غزة وبعض رفاقه شهداء على ارض الوطن بعد مواجهة دامية مع جيش الاحتلال الصهيوني .

أما في الضفة الفلسطينية التي تتلخص تجربتها باتباع شكلين هما المجموعات القتالية الصغيرة التي تتخذ من الجبل نقاط تمركز واختفاء وتخزين ونقاط انطلاق للقيام بعمليات عسكرية ، ثم التواجد في المدن والقرى ، والقيام بعمليات عسكرية مدنية وريفية ضد قوات الاحتلال . وقد مورس ذلك في مناطق الخليل ورام الله ونابلس وغيرها من المدن . وقد برزت على وجه الخصوص تجربة الشهيد أبو منصور ، وبالتالي إن تجربة جيفارا غزة ، والشهيد أبو منصور في جبال الخليل تعتبران من التجارب الطليعية في الكفاح ضد الاحتلال الصهيوني .

كما قامت الجبهة الشعبية بعمليات عسكريّة مدنية في مناطق فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ، وقد اعتمدت في عملها على الرفاق من نفس المنطقة إلى جانب القادمين من الضفة والقطاع أو الخارج ومارست ما يمكن أن نسميه عمليات في العمق ، ضد المستوطنات ، وضربت قوات الاحتلال ومواقعه في عدة مدن منها تل أبيب وحيفا ، حيث شكل مجموع هذه النشاطات العسكرية ضربات موجعة أدت إلى نتائج كبيرة

على الصعيد الأمني والاقتصادي والاجتماعي داخل الكيان الصهيوني ، ومن هذه العمليات ، عمليات التفجير في محطات شركة « ايجد » للباصات ، وعمليات السوبر ماركت ، وكفتريا الجامعة العبرية في القدس .. الخ هذا عدا عن العمليات التي تمت عبر الحدود الأردنية الفلسطينية . ولقد تميز العمل في الأرض المحتلة بشكل عام بالاستمرارية رغم بعض الثغرات والعراقيل والتعرجات التي بدأت عملياً بعد عام ١٩٧٣ وبقيت حتى عام ١٩٨٢ ، حيث « أعيد الاعتبار » إلى الأرض المحتلة بعدما تركز جهد المقاومة على الظاهرة العلنية في لبنان .

ب . الخارج ــ الركيزة الأساسية الثانية

لقد وفرت الهزيمة الحزيرانية عام ١٩٦٧ فرصة مؤاتية وظرفاً موضوعياً ساعد على انطلاق الكفاح المسلح في الخارج وبناء قواعد عسكرية والبدء بتنفيذ العمليات العسكرية القتالية ضد العدو الصهيوني ، بزخم كبير جداً في ظل أوضاع سياسية ونفسية صعبة أبرزت تعطش الجماهير وأملها في مواجهة ظلام الهزيمة بالتحدي والمقاومة ، مما أسهم بشكل فاعل بالتواجد العسكري العلني وشبه العلني للمقاومة ومن ضمنها الجبهة في الأردن ولبنان ، إلا أن وجود المقاومة في هذه البلاد اصطدم بمحاولات ضربها وتصفيتها وشطب دورها الوطني تماماً ، الشيء الذي أدى بالظاهرة العلنية أن تركز عملها على مجالين ،

ــ الدفاع عن الثورة وحمايتها ، وحماية الجماهير الفلسطينية ، واسناد القوى الوطنية واللبنانية الحليفة في معركتها ضد القوى المتصهينة .

ــ اسناد الداخل والقيام بعمليات عسكرية تلحق الأذى بالعدو الصهيوني في مؤسساته العسكرية ، والاقتصادية والأمنية وبأفراد مؤسسته العسكرية والأمنية .

وتنقسم تجربة الظاهرة العلنية إلى مرحلتين وفق تواجدها إلى جانب اتجاه عملها .

أولاً : الأردن :

لقد عملت الجبهة في الساحة الأردنية وفق أربعة خطوط وهي التالية :ــ

١ ــ دعم واسناد قواتها في الداخل ، بالأسلحة والعتاد والكوادر وكافة متطلبات القتال .

٢ ــ مقاتلة العدو والحاق الخسائر به في كل مكان وعلى كافة الحدود المحاذية لفلسطين .

٣ ــ حماية جماهير الشعب الفلسطيني وصيانة حقها في ممارسة أشكال النضال .

٤ ــ تدريب ابناء الشعب الفلسطيني ورفع مستوى الكفاءة العسكرية للقوات المقاتلة .

لقد شكلت الجبهة قواتها على أساس أهدافها وخطوط عملها ، حيث أقامت القواعد ومن القطاعات في الأردن ، كما شكلت الميليشا

الشعبية في المخيمات كبادرة متقدمة أساسها الحذر من النظام الأردني وسياسته ، وتميزت هذه الفترة بكثافة العمليات ضد العدو الصهيوني من خلال وجود جبهة قتالية حقيقية مدعومة بالجماهير التي شاركت بشكل واسع في صفوف المقاومة وانخراطها في العمل الفدائي ، الشيء الذي ساهم في تحقيق النصر العربي الأول في حرب الكرامة ١٩٦٨/٣/٢١ ، والتي أدت عملياً إلى زيادة شعبية المقاومة والتفاف الجماهير حولها من جهة ، لكن زادت محاولات النظام الأردني للعمل على ضرب نفوذ المقاومة وإنهاء وجودها من ناحية ثانية ، حيث افتعل مع المقاومة سلسلة من المعارك الجانبية وخصوصاً في ١٩٦٨/١١/٤ ، ١٩٧٠/٢/١٠ ، ١٩٧٠/٦/٧ ، إلى أن جاءت حرب أيلول ١٩٧٠ والتي استهدفت القضاء على المقاومة وضرب نفوذها السياسي والجماهيري وتأثيرها المعنوي والفكري ، وتالياً ، أدت إلى خروج الظاهرة العلنية من الأردن وانتقالها إلى لبنان بعد معارك تموز ١٩٧١ . والتي كانت نتيجتها خسارة موقع استراتيجي لمكانة حرب التحرير الشعبية وآفاقها .

ثانياً : لبنان

لقد كانت الحدود اللبنانية ــ الفلسطينية من أوائل الحدود المحاذية التي استخدمها ثوار الجبهة الشعبية عام ١٩٦٤ ، إلا أن التواجد العلني للمقاومة في لبنان بدأ منذ عام ١٩٦٨ ، وتعزز بعد انتقال الظاهرة العلنية ، حيث عملت المقاومة في ظل أجواء ايجابية تمثلت في وجود

حركة وطنية رحبت بالثورة الفلسطينية وساندتها ، واستناداً لذلك ، صاغت الجبهة الشعبية خطها العسكري في لبنان متمثلاً بالمهمات التالية :ــ

١ ــ القيام بعمليات عسكرية ضد العدو الصهيوني .

٢ ــ تقديم الدعم والاسناد للداخل عبر الحدود من خلال القوات الخاصة .

٣ ــ الانتشار في مناطق الجنوب وبناء قواعد ارتكاز في هذه المناطق .

٤ ــ حماية الجماهير الفلسطينية وحماية مكتسباتها الثورية .

٥ ــ التدريب والتسليح لأبناء شعبنا في لبنان .

٦ ــ تقديم الدعم والاسناد للحركة الوطنية اللبنانية .

خلال تواجد المقاومة ، والجبهة من ضمنها على الأراضي اللبنانية شنت الرجعية اللبنانية عام ١٩٦٩ حملة لتصفية المقاومة ، وكذلك شن جيش السلطة عام ١٩٧٣ حملة ضد المقاومة ، ولكن المحاولتين بائتا بالفشل ، نتيجة لصمود المقاومة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية واللبنانية ودعم الحركة الوطنية اللبنانية ، إلى أن جاءت الحرب الأهلية التي فجرتها القوات الكتائبية الرجعية المتصهينة في نيسان ١٩٧٥ ، ضد التحالف الوطني الفلسطيني اللبناني ،والتي استنزفت عملياً المقاومة والجبهة ، وحالت دون اعطاء جهدها الضروري لمقاتلة العدو الصهيوني

في الأرض المحتلة ، مما أثر على الركيزة الداخلية بحكم الترابط العضوي بين الركيزتين .

لقد خاضت الثورة الفلسطينية بالتحالف مع الحركة الوطنية اللبنانية العديد من المعارك التي تشكل محطات مضيئة وبارزة في حرب أهلية أفرزت تجربة قتالية خاصة ، امتزج فيها أسلوب حرب العصابات مع أسلوب الجيش الكلاسيكي من خلال عمليات التخندق والاقتحام والتطهير والقصف المتبادل من بعيد . ودارت هذه المعارك في مناطق متعددة ، منها الدامور ، السعديات، المنطقة التجارية، معارك الجبل، الفنادق الشمال، وعلى رأسها معركة تل الزعتر بما مثلته من أسطورة تاريخية. من صمود، حيث قدمت الجبهة تسعين شهيداً وعدداً كبيراً من الجرحى، على رأسهم الرفيق الشهيد ابو أمل. محمد الخطيب عضو اللجنة المركزية للجبهة وكان نتاج هذه المعارك، اختلال موازين القوى لصالح الكتائب التي كانت تسيطر على حوالي ١٨٪ من الأراضي اللبنانية والمقاومة والقوى الوطنية على ٨٢٪ من أراضي لبنان.

وما أن هدأ نسبياً لهيب الحرب الأهلية، حتى بدأ الاجتياح الصهيوني لجنوب لبنان في آذار ١٩٧٨ ، الذي هدف إلى توجيه ضربة قوية للمقاومة والحركة الوطنية اللبنانية وتوسيع النفوذ الصهيوني في الجنوب، مستغلاً حالة الانهيار والتردي التي تعيشها الأنظمة العربية، إلا أن المقاومة والحركة الوطنية صمدتا في وجه الغزو الصهيوني ثمانية أيام متواصلة، حيث أعادت الثقة للكثيرين بالقدرة على التصدي للعدوان

الصهيوني ومخططاته، إلا أن نتائج هذا الغزو أدت إلى اقامة دويلة سعد حداد في الشريط الحدودي بوصفها محمية صهيونية، لتشكل حاجزاً أمنياً في وجه المقاومة، وقوة مساندة للعدو الصهيوني لضرب الثورة والحركة الوطنية، وتلعب دوراً صهيونياً في السياسة الداخلية اللبنانية، إلا أن الجبهة حققت نجاحات بتوجيه ضربات عسكرية ضد أهداف في مواقع دويله حداد، كما قامت بعمليات استطلاع لمناطق العبور باتجاه الأرض المحتلة ونجحت في ذلك إلى ان جاءت حرب ١٩٨٢م .

اجتياح لبنان عام ١٩٨٢ واستراتيجية العمل العسكري اللاحقة

لقد شكل غزو لبنان في صيف ١٩٨٢ ، بفعله ونتائجه زلزالاً كبيراً، اختتم مرحلة من تاريخ النضال الوطني الفلسطيني، وانتج مرحلة جديدة، حيث يعتبر الصمود الاسطوري الذي استمر ثلاثة شهور من قبل المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وما شكله هذا الصمود والقتال على ارض لبنان وبحق الحرب الفلسطينية ــ الاسرائيلية الأولى، فقد قامت قوات العدو باحكام سيطرتها وفق حرب شاملة اعتمدت تكتيك تقطيع أوصال المناطق والقفز فوق بعضها، على اساس حرب خاطفة تحقق أهدافها فيها خلال أسبوع، إلا أن الصمود البطولي للقوات المتلاحمة الفلسطينية واللبنانية أفشل هذا المخطط مما أطال من أمد الحرب عدة شهور، واجبر العدو ولأول مرة على اعادة النظر في استراتيجيته

القائمة على الحرب الخاطفة.

لقد حشد العدو لتنفيذ مخططه معظم طاقات جيشه بأسلحته

الثلاثة الجوية والبحرية والبرية، وتزود بكافة أنواع الأسلحة الأمريكية المتطورة والتي يستخدم بعضها لأول مرة في التاريخ، من نوع القنابل الارتجالية والعنقودية والفراغية والانشطارية والفوسفورية. مما أدى إلى خروج المقاومة والظاهرة العلنية من الجنوب اللبناني حتى بيروت، وتشتت قوات المقاومة، ومنها الجبهة لفترة وجيزة، حيث استعادت تنظيمها وحيويتها وفعلها ضد قوات الاحتلال في لبنان، وعلى ضوء تحليل معمق لنتائج ودروس حرب ١٩٨٢ ، اقرت الجبهة تكتيكها العسكري واستراتيجيتها للمرحلة التي تلت الاجتياح على هدى ثلاثة خطوط رئيسية عامة، تمثلت بالتالي:

١ ــ اعطاء جهد كبير لبناء وتطوير جهازها العسكري داخل الوطن المحتل وتوفير كافة متطلبات هذا الجهاز من الكادر والتسليح والتدريب...الخ.

٢ ــ تهيئة قواتها العسكرية العلنية للانتقال من حالة القتال بوحدات كبيرة نسبياً وبأسلحة ثقيلة وحرب موقعية إلى قوات عصابية مجهزة بوسائل ومتطلبات حرب العصابات ومدربة لمواجهة الاحتمالات والمتغيرات.

٣ ــ الابقاء على القوات النظامية وشبه النظامية بامكاناتها

التسليحية الدفاعية والهجومية تحسباً لتطورات تفرضها المستجدات والتطورات السياسية والعسكرية، على الساحة اللبنانية.

لقد عملت الجبهة على تشكيل مجموعات عصابية صغيرة وسرية تنفذ عمليات عسكرية ضد مواقع العدو وقواته المنتشرة على مساحات واسعة، ولعبت دوراً كبيراً من خلال ذلك في مقاتلة قوات العدو وايقاع الخسائر بين صفوفه، كما لعبت دوراً اساسياً في تشكيل وفعل جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، وساهمت بشكل فاعل في حرب الجبل، ومعركة تحرير بيروت وطرد القوات الانعزالية منها، الشيء الذي مهد لاسقاط اتفاق ١٧ أيار، كما كان لها دوراً اساسياً وبارزاً في معركة اقليم الخروب وشرق صيدا، وانسحاب الجيش الصهيوني من كل هذه المناطق، مما اتاح الفرصة للبدء في تنفيذ عمليات عسكرية ضد قوات العدو الصهيوني وحلفائه في جيش لبنان الجنوبي داخل منطقة الشريط الحدودي بالاضافة إلى العمليات داخل الوطن المحتل من خلال الحدود اللبنانية الجنوبية.

حرب المخيمات: ١٩٨٥ ــ ١٩٨٧

فبعد الانسحاب الاسرائيلي من المناطق التي تم احتلالها عام ١٩٨٢ ، احتدم الصراع بين أطراف العمل الوطني الفلسطيني واللبناني، حيث اعتبرت حركة أمل نفسها صاحبة القول الفصل والقوة القائدة، الشيء الذي نقلها بعد معاركها مع أطراف الحركة الوطنية اللبنانية إلى ان

تفجر المعارك مع أعوانها ضد الوجود الوطني الفلسطيني والبندقية الفلسطينية في لبنان، بهدف شطب الدور الوطني الفلسطيني، إن خطورة تلك المعارك أتت من أنها حصلت في ظل انقسام عامودي في م.ت.ف، وعصف الأزمة في صفوفها، الشيء الذي أدى بالجبهة إلى رفع شعار «الوحدة الميدانية» الذي كان له دور رئيسي ومميز في الدفاع عن شعبنا الفلسطيني وعن بندقيته المقاتلة تحت شعار «سلاحنا أرواحنا».

إن الدور التاريخي الذي لعبته الجبهة في تلك المرحلة سيبقى منقوشاً في ذاكرة الشعب الفلسطيني، حيث تعددت نشاطاتها، فمن جهة، لعبت الدور الرئيسي في منع الاقتتال الداخلي الفلسطيني داخل المخيمات، وعملت على الحفاظ على الوحدة الميدانية بين المقاتلين، ودخلت معركة مغدوشة الهجومية، وكانت من القوى الأساسية في السيطرة عليها، وقدمت عدداً كبيراً من الشهداء والجرحى من خيرة كوادرها ومقاتليها، إلا أنها ورغماً عن كل ذلك، ابقت احدى عينيها على المخيمات، والعين الأخرى على الأرض المحتلة، حيث تنامى فعلها العسكري بشكل واضح وبارز، وتعددت نشاطاتها العسكرية، من العمليات القتالية في الشريط الحدودي، إلى العمليات العسكرية داخل الوطن المحتل إلى العمليات الاستشهادية على نمط عملية نهاريا عام ١٩٨٦ .

الانتفاضة الفلسطينية وأزمة العمل العسكري..

مع اندلاع الانتفاضة المجيدة، تكثفت أشكال المقاومة الشعبية

العنيفة، واستخدمت على نطاق واسع زجاجات المولوتوف الحارقة، وعمليات تصفية العملاء والطعن بالسكاكين، بالإضافة إلى القاء القنابل على دوريات العدو والاشتباك مع قواته المسلحة، إلا أن الأعمال العنفية ما دون استخدام الأسلحة والمتفجرات هي الأعمال السائدة فترة الانتفاضة، علماً بأن الجبهة قد طرحت شعار «الانتفاضة محور عملنا» على كافة الصعد ومنها العمل العسكري الذي خصصته لشعار «دعم الانتفاضة بالنار»، حيث تمكنت قوات الجبهة من انجاز العديد من العمليات سواء من الجبهة اللبنانية أم من داخل الأرض المحتلة.

ففي حين تعيش الساحة الفلسطينية حالة من الجدل حول جدوى الكفاح المسلح بعد انفجار الانتفاضة، حيث تنقسم الساحة إلى وجهتي نظر، إحداهما تقول بأن العمل العسكري قد قام بدوره على امتداد السنوات السابقة وأدت مرحلته إلى بروز الانتفاضة التي طرحت القضية الفلسطينية بأقوى ما يمكن، بحيث أصبح النشاط السياسي والدبلوماسي النشيطان وحدهما القادران على محاصرة اسرائيل وكسب التأييد العالمي، وأدت وجهة النظر هذه بأصحابها بعد حرب الخليج إلى تحويل الجهد إلى الجانب الديبلوماسي على حساب التركيز لتلبية متطلبات الانتفاضة.

في حين أن وجهة نظر الجبهة الشعبية كانت ولا تزال تتلخص بضرورة اسناد الانتفاضة بالنار اسناداً فاعلاً ومتواصلاً داخل الوطن المحتل وخارجه، مع ممارسة كافة أشكال النضال الأخرى استناداً إلى قراءة

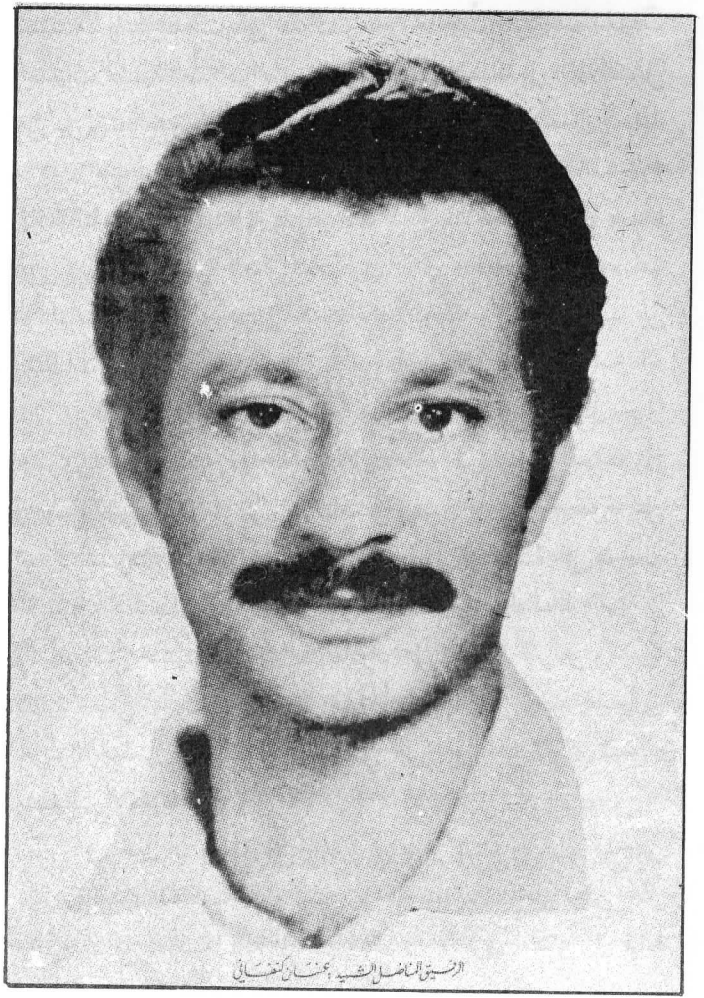

الرفيق الفاضل الشهيد غسان كنفاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

بيان عمليات رقم ٣٤

تعلن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن العمليات التالية :

١ — قامت احدى مجموعاتنا مساء يوم ١٩٦٨/٧/١ بنصب كمين لاحدى سيارات العدو المسلحة في منطقة الدبوسية شمال محطة وادي خالد بهضبة الجولان ، وعند قدوم السيارة التي كانت تحمل افراد احدى الكمائن ، هاجمتها المجموعة بالاسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية ، مما ادى الى تدمير السيارة تماماً وقتل وجرح كل من فيها ، وقد حضرت نجدة من قوات العدو الى مكان الحادث من معسكر اليافوسة . كما بدأ المعسكر المذكور باطلاق شهب الاضاءة وتوجيه الرماية المكثفة باتجاه مجموعتنا ، ولكنها تمكنت من الانسحاب بسلام .

٢ — قامت احدى مجموعاتنا بزرع لغم ضد الآليات ، وقد انفجر اللغم تحت سيارة جيب عسكرية للعدو ، وذلك في الساعة ٢٤ من يوم ٩٦٨/٧/١ مما ادى الى تدميرها ، وقتل وجرح كل من فيها ، وذلك في منطقة خسفين بهضبة الجولان ، وقد اعترف العدو بالحادث .

٣ — قامت احدى مجموعاتنا العاملة داخل الارض المحتلة بزرع لغم ضد الآليات في طريق وادي السلفة جنوب دير البلح ، وقد انفجر اللغم يوم ٩٦٨/٦/١٧ تحت سيارة نصف مجنزرة ، وادى الى قتل وجرح كل من فيها .

٤ — قامت احدى مجموعاتنا المقاتلة بقصف مركز تجمع للسيارات في الكرنتينا قرب جسر دامية بالصواريخ في الساعة الواحدة من صباح يوم ٩٦٨/٧/١ مما ادى الى اشتعال النار في سيارتين نصف مجنزرتين للعدو .

٥ — قامت احدى مجموعاتنا العاملة داخل الارض المحتلة بنصب كمين لدورية للعدو على الطريق الرئيسي بين خانيونس ودير البلح ، مكونة من سيارة نصف مجنزرة وسيارة جيب ، وذلك بتاريخ ٩٦٨/٧/٤ ، حيث انقض مقاتلونا على السيارتين بالقنابل اليدوية والاسلحة الرشاشة مما ادى الى قتل اثنين من جنود العدو .

عاشت وحدة المقاتلين على ارض المعركة

عاش نضال شعبنا الصامد حتى التحرير

واننا لمنتصرون

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

النصف الاول من تموز ١٩٦٨

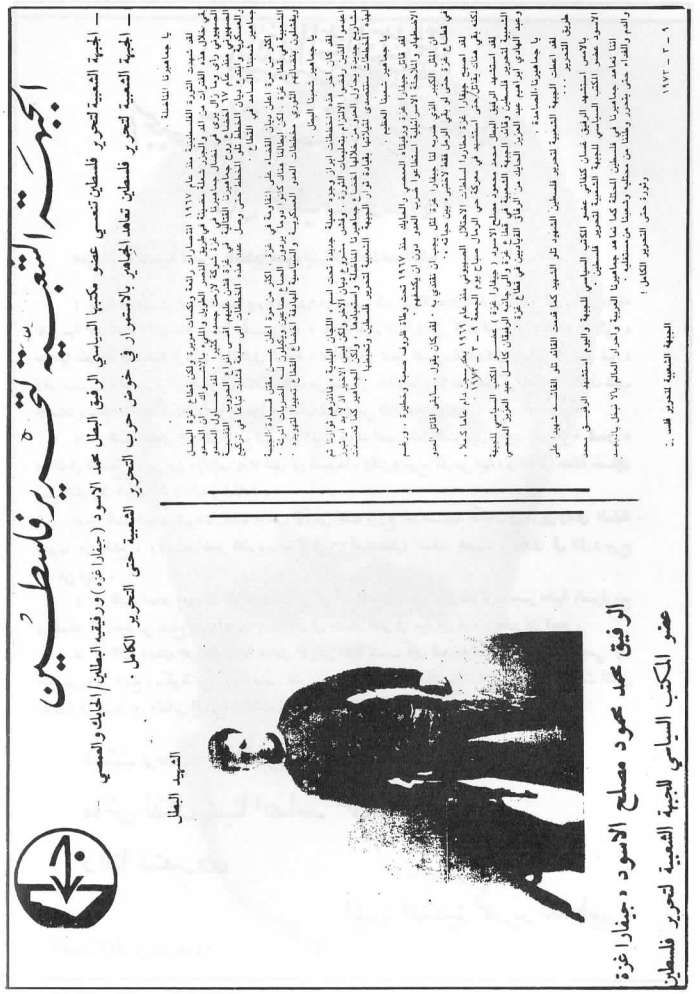
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

— الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تنعى عضو مكتبها السياسي الرفيق البطل محمد الاسود (جيفارا غزة) ورفيقيه البطلين/ الخايك والعمصي

— الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تعاهد الجماهير بالاستمرار في خوض حرب التحرير الشعبية حتى التحرير الكامل .

الشهيد البطل

الرفيق محمد محمود مصلح الاسود ، جيفارا غزة

عضو المكتب السياسي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الجبهة الشعبية في المجال النظري

نشـأت الجبهـة الشعبيـة لتحرير فلسطين تاريخياً من الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب. حيث شكلت تطوراً نوعياً راقياً لهذه الحركة في ساحة النضال الوطني الفلسطيني، لذا فمن الطبيعي أن تكون بنية الجبهة مترابطة مع بنية هذه الحركة وتحمل شيئاً من معالمها بإيجابياتها وسلبياتها، وذلك في كافة المجالات النظرية والسياسية والتنظيمية.

من جهتها أقدمت حركة القوميين العرب عشية انطلاقة الجبهة الشعبيـة على خطوة نوعيـة في مسـار تطورها. فعلى إثر هزيمة ١٩٦٧ توقفت اللجنـة التنفيذية للحركة في شهر تموز من العام نفسـه لتحاكم الهزيمة الحاصلة وتؤكد على فشل برامج البرجوازية بكافة شرائحها في قيادة نضـالات الجمـاهير العربية نحو انجاز مهام التحرر الوطني والاجتماعي وأعلنت بالنتيجة في كراسها المعنون ـــ «الثورة العربية أمام معركة المصير» عن التزامهـا بنظرية الاشـتراكيـة العلمية واسـتراتيجية حرب التحرير الشعبية.

بهذا الموقف النوعي الجديد ابتدأ انعطاف تاريخي في مسار حركة القوميين العرب، وبالتالي في التنظيمات التي نشأت عنها وفي مقدمتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وفي هذا السياق طرحت الجبهة الشعبية عملية

التحول من مواقع الديمقراطية الثورية إلى مواقع الاشتراكية العلمية وبناء الحزب العمالي الماركسي ــ اللينيني.

ومن هذا التاريخ شهدت جبهتنا وخاصة في بداية تأسيسها جدلاً واسعاً حول مفهوم «التحول» ومضمونه، واثبتت تجربتنا وتجربة الآخرين بالملموس صحة وجهة النظر التي عبّر عنها الأمين العام آنذاك والقائلة بإمكانية تحول ليس أفراد أو فئات أو مجموعات لوحدها. بل وأحزاب وتنظيمات بكاملها، وذلك في ظل توفر ظروف موضوعية وذاتية ملائمة.

في هذا المجال وبعيداً عن آحادية الجانب في معالجة العمليات والظواهر الاجتماعية صاغت الجبهة الشعبية فهماً علمياً مركباً لعملية التحول. وقد تجلى هذا الفهم بالنظر إلى ظاهرة التحول كعملية تاريخية طويلة، متناقضة ومعقدة وتشمل كافة ميادين نشاطات الجبهة الرئيسية ــ النظرية والسياسية والتنظيمية، حيث ترتبط كافة هذه الجوانب بعلاقة جدلية متينة، مع التأكيد بنفس الوقت على أولوية الجانب النظري في هذه العلاقة. وتمر عملية التحول بعدة مراحل لها تناقضاتها الرئيسية المحددة، إلا أن التناقض الأساسي الذي يحكم هذه الظاهرة من بدايتها حتى نهايتها هو التناقض القائم بين البنية النظرية والطبقية والسياسية والتنظيمية البرجوازية الصغيرة من جهة والبنية النظرية والطبقية والسياسية والتنظيمية العمالية، الماركسية ــ اللينينية من جهة أخرى، أي بين اليمين واليسار.

وتبين تجربة الجبهة الشعبية على هذا الصعيد أن التناقض بين القطبين الرئيسيين، اليساري واليميني، لا يخلو أحياناً من تلاوين وصراعات

داخل اليمين نفسه، أو داخل اليسار نفسه، أو من التداخل بينهما، وظهور تماثلهما للسطح أحياناً كما عبرت عن ذلك تجربتا الانشقاق اللتان عاشتهما الجبهة. وإذا كان ثمة تداخل كبير في المسائل السياسية بين اليسار واليمين في المراحل الأولى للتحول، فإن الافتراق يتزايد في مراحل لاحقة، وهذا أمر طبيعي لا يخصنا وحدنا، بل تتسم به الديمقراطية الثورية بأسرها، المتحولة إلى مواقع الفكر الماركسي. فالديمقراطية الثورية تقترب، أول ما تقترب، من المسائل السياسية المعالجة من قبل الاشتراكية العلمية وذلك بحكم اقدام الصراع مع الاعداء القوميين والطبقيين، أو بسبب التعمق المضطرد للمضمون الاجتماعي للعملية التحررية، وكذلك لأن المسائل السياسية هي الأقرب للفهم كونها مسائل معاشة عبر تجربة التحرر الوطني والعملية الصراعية.

أما في مراحل متقدمة من عملية التحول، فإن تجربتنا تثبت بالملموس أن امتلاك المنهج المادي الجدلي، هو الذي سيحدد رسم وصياغة السياسة وأوجه النشاط الأخرى، وهو الذي يعطيها طابعها العلمي. ويساعد الفكر في تهذيب الممارسة وتدقيق خبرتها وتخليصها من مظاهر التجريبية، الأمر الذي يؤدي بالمحصلة النهائية إلى صياغة الاتجاهات المبدئية للنشاط اللاحق في ضوء قراءة الواقع من على خلفية نظرية أرقى وأكثر عمقاً. وهكذا فكما تم امتلاك المنهج العلمي بشكل أفضل كلما كانت الممارسة انضج، وكلما تم التعمق في فهم واستيعاب

الماركسية، وكلما كان استخدامها كمرشد للعمل ومنهج للتحليل والتغيير أفضل وأنجع.

بالطبع، فإن ممارسة هذه العملية الشائكة في الحياة لم تجر دون اشكاليات جدية، وبالأخص حصول انشقاقين (الجبهتين الديمقراطية والثورية) نتجا برأينا عن الفهم المراهق الخاطىء لظاهرة التحول. فعلى عكس موقف الجبهة الشعبية الذي أشرنا إليه آنفاً شكك المنشقون بامكانية تحول التنظيم، مؤكدين بأن أقصى ما يمكن حصوله هو نشوء عناصر ماركسية في صفوفه ــ أي التنظيم ــ تنسلخ عنه وتشكل تنظيماً مستقلاً.

إن الجواب على مسألة الخلاف الأساسية هذه قد قدمته الحياة من خلال تجارب الحركة الثورية العالمية (حركة ٢٦ تموز في كوبا) الحركة الشعبية لتحرير أنغولا ــ حزب العمل، الحزب الاشتراكي اليمني الخ..) والتجربة الخاصة للجبهة الشعبية. فالشوط الكبير الذي قطعه حزبنا في انجاز عملية التحول هو خير دليل ملموس على امكانية تحول تنظيم ديمقراطي ثوري إلى مواقع الاشتراكية العلمية.

وتبين الاطلالة على الواقع الراهن لحزبنا بأنه قد تم انجاز الشوط الأكبر من عملية التحول. فعلى الصعيد الايديولوجي يمكن القول، رغم الثغرات هنا وهناك، انه قد تم قطع شوط كبير حيث بات الفكر الماركسي سائداً في تنظيمها، خاصة على الصعيدين القيادي والكادري. ويتوجه حزبنا الآن نحو تعزيز تملك المنهج الماركسي وترسيخ سيادة

الاستخدام الخلاق لهذا المنهج من خلال مطاردة بقايا البنية الفكرية السابقة ومخلفاتها واستبعاد العوامل التي تعيد انتاجها أو تخلق العراقيل أمام ترسيخ بنيتنا الفكرية الجديدة وانعكاساتها على مختلف أوجه نشاطاتنا.

وهنا تجدر الاشارة إلى أن متطلبات امتلاك واستخدام المنهج المادي الجدلي بشكل خلاق قد ازدادت بفعل ما تطرحه الحياة من عمليات وظواهر اجتماعية واشكاليات جديدة يجب أن نأخذها بعين الاعتبار وأهمها:

ــ المتغيرات الهائلة على الصعيد الدولي وأبرزها انهيار الاتحاد السوفييتي والعديد من البلدان الاشتراكية، وقدرة الرأسمالية على التكيف مع متطلبات التطور العالمي وتجديد نفسها ارتباطاً بذلك.

ــ المتغيرات الهائلة أيضاً على الصعيد العربي وأهمها انهيار النظام العربي أمام مشاريع الهيمنة الامبريالية وفي مقدمتها الأمريكية منها.

ــ المتغيرات الكبيرة في ساحتنا الوطنية الفلسطينية، بدءاً من اندلاع الانتفاضة الجبارة لشعبنا البطل في الوطن المحتل وصولاً إلى ما يسمى «بمؤتمر السلام» الذي يهدف فيما يهدف إلى تصفية قضيتنا الوطنية.

ــ الاشكاليات الحادة التي يواجهها الفكر الانساني التقدمي، بما في ذلك الفكر الماركسي في محاولاته لتجديد نفسه وتمثل الظواهر والعمليات الاجتماعية المعاصرة العالمية والاقليمية والمحلية.

هذا على الصعيد الايديولوجي، أما على الصعيد الطبقي فقد

عملت الجبهة بشكل دؤوب لاعادة بناء قوامها على أساس تعزيز وجود العمال والكادحين عموماً في صفوفها القاعدية والكادرية والقيادية. أما على صعيد الموقف، فقد حاولت الجبهة باستمرار أن تنطلق من التعبير عن مصالح الطبقة العاملة الفلسطينية وعموم الكادحين إجمالاً، وعملت على تربية اعضائها بالمسلكية الثورية، وعلى الكفاحية وساهمت في الدفاع عن مطالب العمال وانطلقت باستمرار من ضرورات وحدة التمثيل السياسي والنقابي للعمال الفلسطينيين وأهمية النضال من اجل تبوئهم لدورهم اللائق في النضال الوطني الفلسطيني. وأكدت على أهمية وحدة التعبير السياسي عن الطبقة العاملة وبقية الكادحين، فسعت لعلاقات جيدة مع القوى الماركسية والديمقراطية الثورية في الساحة الفلسطينية مؤكدة على ضرورة وحدتها في حزب طليعي موحد.

وهكذا، نستطيع القول بأن جبهتنا اقتربت تدريجياً من بناء نفسها وصياغة سياستها العامة على أساس الارتباط بمصالح العمال وعموم الكادحين، وتسعى باستمرار للتعبير عن ذلك، كما تسعى لتنظيمهم ورفع مستوى مشاركتهم ودورهم ومكانتهم في النضال الوطني.

وفي المجال التنظيمي نلاحظ تطور الحياة الحزبية الداخلية واستقرارها على اساس مبادىء وقواعد النظام الداخلي وتطبيقها المبدع في الظروف المختلفة، الأمر الذي قاد ويقود إلى توطيد الوحدة التنظيمية وتعزيز هيبة حزبنا.

وأخيراً فإننا نلمس تطوراً نوعياً في المجال السياسي الذي يكثف

مجمل عملية التحول في جوانبها الفكرية والطبقية والتنظيمية، والذي يعتبر المقياس الحاسم في مسار هذه العملية. فقد انعكس الالتزام الفكري ايجاباً على تحسن استخدام المفاهيم والمقولات والتدقيق فيها، والتعليل العلمي للمواقف، واتضحت بشكل أفضل الرؤية الاستراتيجية والمرحلية للجبهة، ومورس النقد الجريء لبعض المواقف الخاطئة، كما وتحسن طرح الجبهة الشعبية للشعارات المناسبة واتخاذ المواقف السياسية في وقتها واستبدالها حسب تطور الظروف، وتعاملها مع الحلقة المركزية في كل مرحلة. وتطورت أيضاً نظرة الجبهة للتحالفات على كافة الصعد وطنياً وقومياً ودولياً.

على اساس هذه الحقائق نستطيع القول بأن حزبنا قد حقق في الجوهر عملية التحول وذلك من خلال سيادة الفكر الماركسي، وتملك المنهج المادي الجدلي عموماً. ولا يعني هذا الكلام بالطبع عدم وجود ثغرات جدية في هذا المجال وبالأخص التأثر بالعديد من سلبيات النماذج الشيوعية القائمة والاشكاليات التي تعتريها في المجالات المختلفة.

لكن، بالرغم من هذا الواقع، فإن حزبنا قد تميز في العديد من القضايا الأساسية وفي مقدمتها الموقف من قضيتنا الوطنية والمسألة القومية والنظرة للصهيونية كظاهرة استعمارية ولكيانها السياسي ـــ اسرائيل، وفي تبني وممارسة كافة أشكال النضال وعلى رأسها الكفاح المسلح. وبالرغم من اقترابنا من الشيوعيين العرب والفلسطينيين في الكثير من المسائل، وفي صيغ التنظيم وأساليب وآليات العمل، إلا أننا طرحنا فهماً أكثر واقعية

في مسألة تكوين البديل الثوري، وذلك انطلاقاً من تشخصينا لازمة حركة التحرر العربية، وكنا أكثر اقتراباً من الحقيقة حين اعتبرنا أن معظم الأحزاب الشيوعية العربية تعاني من الاصلاحية، وضعف الاستقلالية، ومغتربة عن واقعنا، وذيلية للبرجوازية في أحيان كثيرة، ورفضنا ادعاءها باحتكار التمثيل السياسي للطبقة العاملة، فعللنا فكرة امكانية تواجد وتعايش أكثر من حزب ماركسي على ساحة عمل واحدة، وطرحنا مهمة وحدة كل القوى الديمقراطية الثورية والماركسية في الساحة الفلسطينية وعممنا ذلك على المستوى العربي، وصولاً إلى طرح فكرة حزب ماركسي ــ لينيني موحّد.

من هذا المنطلق، فإن تجربتنا تؤكد بالملموس على صحة وصوابية خيارنا في التحول فانهيار النموذج الحزبي ممثلاً بالحزب الشيوعي السوفييتي لا يلغي على الاطلاق فلسفة التحول وبناء الحزب الماركسي الثوري، حزب العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين، تماماً كما أن انهيار النموذج الاشتراكي المحقق لا يعني سقوط فكرة الاشتراكية ولا سقوط النهج الماركسي، المادي الجدلي، ولا سقوط الحاجة اليهما وضرورة تعميق الرؤية حولهما. لكن تجربتنا وتجربة الآخرين، وبقدر ما تؤكد على صحة خيارنا، فإنها بنفس القدر تؤكد على ضرورة توفر تصنيفات اكثر دقة وعلمية للديمقراطيين الثوريين وللأحزاب الطليعية ولمعايير الاسترشاد بالماركسية والاشتراكية العلمية والالتزام بالمنهج المادي الجدلي، كما تؤكد على أهمية رؤية خصوصية واقع كل بلد، والنظر إلى المستويات المختلفة

للتطور والتي تستدعي بدورها تشخيصاً أكثر دقة لمهام التقدم الاجتماعي ولمتطلبات ومقاييس ومعايير القيادة والطليعة والزعامة السياسية والطبقية. وتلقي هذه المسألة بدورها على عاتقنا مسؤولية كبيرة، تستدعي النجاح فيها القيام بتقييم موضوعي لتجربة التحول من أجل الاستفادة من خبرة ودروس التجربة واستنباط المهام اللازمة للتطور اللاحق بمنهج علمي ورؤية أكثر وضوحاً وواقعية. وهنا نرى بأن التوقف أمام الماركسية والاشكاليات التي تواجهها والمساهمة بتجديدها من موقعنا الوطني والقومي يحتل ركناً محورياً في تحقيق المهمة الكبيرة المطروحة.

على هذا الصعيد يرى حزبنا بأن الماركسية في طرح تعاليمها لم تعلن نفسها أفكاراً مكتملة ونهائية، بل على العكس من ذلك أكدت دائماً ومراراً من خلال هذه التعاليم بالذات على أنها نظرية النمو الدائم التي تعكس الحركة الابدية للحياة إلى الأمام. وعلى هذا الأساس أيضاً صاغت الماركسية مفهومها لنسبية المعرفة الانسانية، فالتغيير الدائم في موضوع وذات المعرفة يتطلب اعادة انتاجها ــ أي المعرفة ــ بشكل دائم وبما يتلاءم مع المعطيات الجديدة الموضوعية والذاتية.

لذا وبغية الحفاظ على الطابع العلمي والثوري للماركسية وتعميقه المستمر، وانسجاماً مع طبيعتها الدياليكتيكية نفسها، يجب العمل على اعادة انتاجها الدائمة. وذلك انطلاقاً من اعادة الانتاج الدائمة للحياة الانسانية، وانعكاساً لها بظروفها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحقوقية وغيرها. إذن فالتطوير هو سمة قانونية، بنيوية للماركسية نفسها.

على هذا الأساس يرى حزبنا بأن قضية تجديد الماركسية وانتاج الفكر الثوري الملموس للواقع الملموس تبرز كحاجة موضوعية ملحة جداً تفرض نفسها على رأس جدول أعمال المفكرين والقوى الماركسية، واي تباطؤ في إنجاز هذه المهمة العظيمة يسيء إلى النشاط الثوري ويقدم افضل الخدمات الى القوى الرجعية العالمية والاقليمية والمحلية.

إن الهدف الرئيسي للتجديد هو اعادة بناء الماركسية فكراً علمياً، ثورياً في ظروف عالمنا المعاصر. وذلك على أساس التخلص من تلك المفاهيم التي شاخت أو التي أثبتت الحياة عدم صحتها، وصياغة المعارف الجديدة التي تعكس الظواهر والعمليات الاجتماعية القائمة ودروس التجربة التاريخية الحاصلة في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية وبالأخص التجربة المريرة للبناء الاشتراكي.

وفي هذا المجال نرى أن الديمقراطية الفعلية هي الأداة الرئيسية في عملية التجديد. فدروس المرحلة السابقة تدلل بأن الخطر كل الخطر يأتي أساساً من تغييب الديمقراطية وسيادة الجمود العقائدي، والتحجر، ونزعة احتكار الحقيقة والقدسية في التعاطي مع العقائد الجاهزة، الأمر الذي يتطلب التفاعل الحر للأفكار، وتعددية الآراء، والانفتاح على الرأي الآخر، فالوصول إلى الحقيقة والتجديد وانتاج الماركسية الثورية الخلاقة يمر وبالضرورة عبر عملية صراع الأفكار.

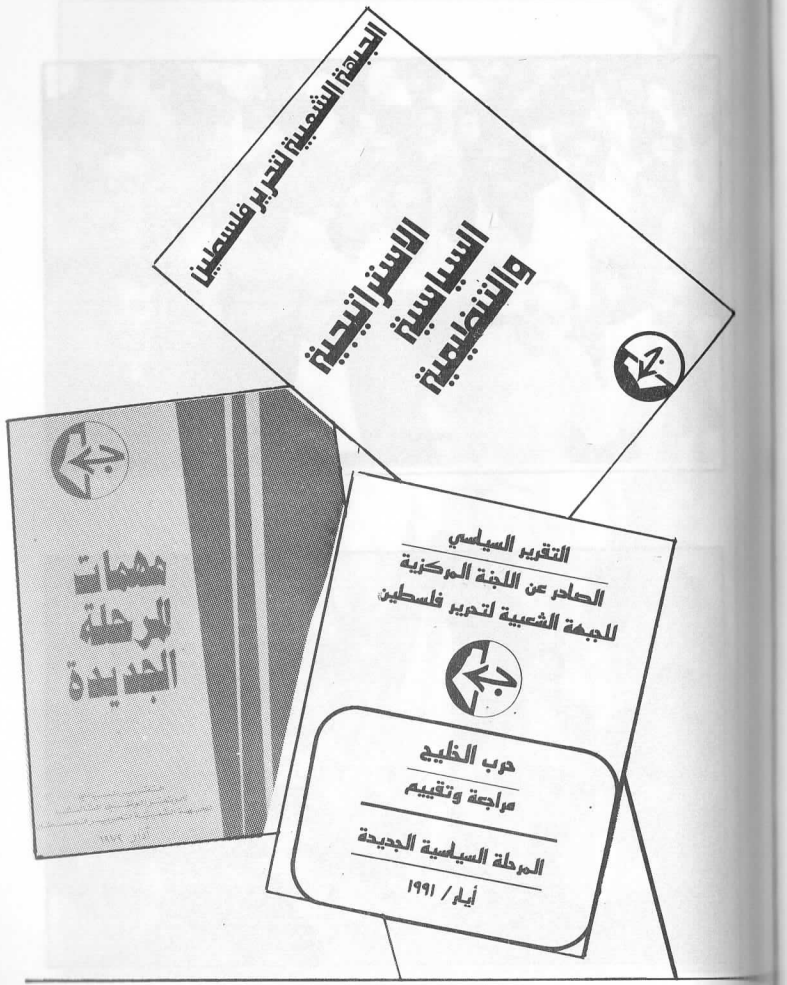

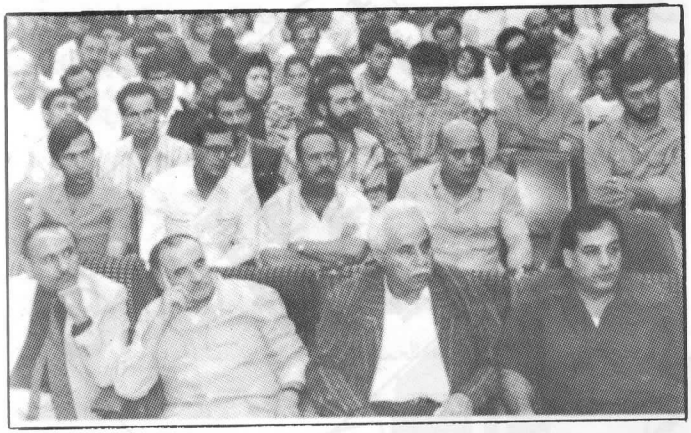

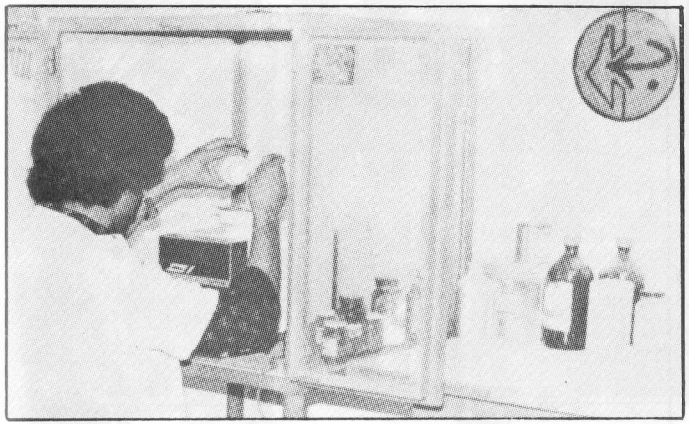

الجبهة الشعبية من الجماهير وإلى الجماهير
خمسة وعشرون عاماً في خضم النضال الجماهيري

يحتل العمل الجماهيري موقعاً أساسياً في بناء ونشاط الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. فعلاقة الحزب الثوري الوثيقة بالجماهير ليست مسألة ذاتية أو مزاجية ترتبط بهذا القائد أو ذاك، في هذه المرحلة أو تلك، في هذا المكان أو ذاك، وإنما هي تجسيد موضوعي لفلسفة الحزب الثوري نفسه كداعٍ ومحرض ومنظم للجماهير الشعبية في نضالها لتحقيق أهدافها وأمانيها الوطنية والطبقية.

وتجد هذه الفلسفة أساسها العميق في الفهم العلمي المادي للتاريخ وفي مقدمته مقولة الدور الحاسم للجماهير في التاريخ. فالجماهير الشعبية هي الصانعة الحقيقية للتاريخ وخالقة الخيرات المادية والروحية، وهي في الوقت نفسه منطلق التاريخ وهدفه.

على هذا الأساس اعتبرت الجبهة الشعبية الخط الجماهيري ومنذ انطلاقتها أحد أهم العوامل في القدرة على تحقيق مهام وأهداف النضال الوطني التحرري الفلسطيني. وتبين الإطلالة على ظروف الإنطلاقة ونشوء الجبهة الشعبية تاريخياً وبالأخص بيان اللجنة التنفيذية لحركة القوميين العرب الذي عالج مأساة حرب ١٩٦٧ ونتائجها أهمية النضال

الجماهيري في العملية الثورية الجارية. فقد أكّد ذلك البيان على أن سياسة الأنظمة البرجوازية الوطنية التي عزلت الجماهير وحرمتها من ممارسة دورها الطبيعي في مواجهة الأعداء الوطنيين والطبقيين وتحقيق آمالها في التحرر والتقدم كانت أحد الأسباب الرئيسية للهزيمة الحاصلة. وبالتالي فإن اللجنة التنفيذية بناءً على ذلك وانطلاقاً من تجارب الحركة الثورية العالمية وانتصار الشعوب المستضعفة على الامبريالية والرجعية رأت بأن الطريق الصحيح لمواجهة الأعداء ولفتح الآفاق أمام التطور التقدمي للصراع هو طريق الجماهير، طريق حرب الشعب، طويلة الأمد.

إن هذا الاستخلاص العلمي التقدمي عن دور الجماهير الشعبية في الثورة وعن تحديد أسلوب حرب التحرير الشعبية الطريق الرئيسي لتحقيق مهام وأهداف النضال الوطني التحرري وجد تجلياته الملموسة في سياسة الجبهة الشعبية التي مثلت إنطلاقتها واستمرارها في الجوهر تطوراً نوعياً راقياً لحركة القوميين العرب في الساحتين الفلسطينية والأردنية. وقد ترسمت هذه السياسة في وثائق الجبهة بدءاً من بيانها التأسيسي وصولاً إلى وثيقتيها الأساسيتين: الاستراتيجية السياسية والتنظيمية والنظام الداخلي.

فمن جهتها تشير الاستراتيجية السياسية والتنظيمية إلى أن تنظيم الجبهة الشعبية يحرص «على أن يكون تنظيماً من أجل الجماهير، ينبثق منها، ويعيش بينها، ويقاتل من أجل قضاياها، ويستند ويحقق أهدافه من خلالها

وبها ومن أجل مصلحتها»(١). وحول موضوعة حرب الشعب تشير الوثيقة نفسها إلى «أن التفوق التكنولوجي والعسكري لدى الامبريالية يواجه من قبل الشعوب الضعيفة عن طريق حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية»(٢).

أما النظام الداخلي فيؤكد بأن «حرب التحرير الشعبية هي الأسلوب الوحيد لمواجهة العدو والوصول لهدف التحرير... إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تؤمن أن الثورة الحقيقية هي ثورة الجماهير لمصلحة الجماهير، وعلى هذا الأساس فإن الخط الجماهيري يشكل الأساس الذي تقوم عليه كافة نشاطات الجبهة وفعاليتها»(٣).

وبدوره أيضاً يؤكد البيان التأسيسي للجبهة الشعبية على طبيعة العلاقات الصحيحة التي يجب أن تربط بين الثورة والجماهير. فهذه العلاقة كما جاء في البيان يجب أن تقوم على أساس سليم، بعيد عن الأوهام والتضليل والديماغوجية، «فالحقيقة يجب أن تكون ملكاً للجماهير لأننا لا نشعر بأننا أكثر غيرة من الجماهير على مصالحها وقضيتها. إن الجماهير يجب أن تعي بشكل كامل منجزات الكفاح المسلح ومشاكله دون مبالغة أو تهويل، لأنها الأمينة على أهداف هذا الكفاح وأمانيه وهي التي

١ ــ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية النسخة الجديدة، ص ١٣٧ .
٢ ــ نفس المصدر السابق، ص . ١٠٨ .
٣ ــ النظام الداخلي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ص . ١٠ ــ ١١ .

ستقدم لهذا الكفاح كل ما تملكه من دماء مناضليها. إن المقاتلين على الأرض الفلسطينية يختطون طريقاً جديداً للعمل السياسي والتعامل مع الجماهير بطابع المصارحة الكاملة و«كل الحقيقة للجماهير».

على هذا الأساس انطلقت الجبهة الشعبية في صياغة فكرها وممارستها في كافة المراحل التي مرت بها ثورتنا الفلسطينية المعاصرة. وفي التقييم العام وبالرغم من أية أخطاء أو ثغرات حصلت إلا أن الجبهة الشعبية وبقناعة عميقة راسخة انطلقت بسلوكها دائماً من الجماهير وإلى الجماهير. فجماهير شعبنا بمصالحها وطموحاتها كانت ولا زالت الهادي الأول والأخير لسياسات حزبنا على كافة الصعد. وقد بيّنت تجربة العمل الوطني بشقيها الرئيسيين الكفاح الشعبي المسلح والانتفاضة الشعبية الجبارة لشعبنا البطل في الوطن المحتل صحة الرؤية والممارسة اللتين قدمتهما الجبهة الشعبية منذ انطلاقتها لمكانة ودور الجماهير الشعبية في العملية الثورية وصناعة التاريخ.

وقد حكمت هذه الرؤية للجماهير سلوك الجبهة الشعبية تجاه الاتحادات الشعبية الفلسطينية مؤكدة دائماً وأبداً على أولوية وحدة الشعب الفلسطيني بمؤسساته المختلفة وعلى دورها الهام في العملية الوطنية وتحقيق أهداف شعبنا في التحرر والتقدم الاجتماعي.

من هذا المنطلق الواقعي الثوري نظرت الجبهة إلى الاتحادات الشعبية كأطر واسعة تشكل ضرورة موضوعية لتعبئة وتنظيم أوسع طبقات وفئات شعبنا الفلسطيني للإنخراط في النضال الوطني العام من جهة، ومن

أجل الدفاع عن حقوق ومصالح كل طبقة أو فئة اجتماعية محددة من جهة أخرى.

ولكي تستطيع القيام بوظائفها الهامة هذه ناضلت الجبهة الشعبية لتقوم الاتحادات الشعبية في بنائها ونشاطها على الأسس التالية:

١ ــ الطابع المهني المستقل، ويتطلب قيام الاتحاد على أساس ارتباطه بفئة اجتماعية معينة، يدافع عن مصالحها المحددة ويعبّر عن همومها وأمانيها وطموحاتها وتحسين مواقعها في إطار الخارطة الاجتماعية القائمة. كما ويتطلب هذا الموضوع الحفاظ على استقلالية الاتحاد وبالأخص عدم الحاقه البيروقراطي الوظيفي بمؤسسات السلطة القائمة.

٢ ــ الطابع الجماهيري، ويتطلب من الاتحاد النضال لكي يضم في صفوفه أوسع الجماهير الممكنة في إطار الفئة الاجتماعية المعينة التي يعبّر عن مصالحها.

٣ ــ سيادة الديمقراطية بقواعدها المختلفة سيادة تامة في جميع مظاهر الحياة الداخلية والخارجية للإتحاد، وأن تكون هي الحكم في تقرير مواقفه وسياساته. فالديمقراطية هي الخاصية الأبرز من خصائص أي اتحاد شعبي والمحور الذي تدور حوله بقية الخصائص الأخرى. فبدون توفر الديمقراطية يصعب إلى درجة تقرب من الاستحالة أن يكون الاتحاد جماهيرياً أو أن يقوم بدوره التعبوي والنضالي سواء في المجال الوطني أو في مجال الدفاع عن الحقوق والمصالح الخاصة بالفئة الاجتماعية المحددة. وفي واقعنا الفلسطيني تبرز مسألة التمثيل النسبي كقضية محورية على هذا

الصعيد يجب النضال لتثبيتها في بناء ونشاط كافة الاتحادات الشعبية.

٤ ــ الطابع الكفاحي ويعتبر سمة أساسية للاتحادات الشعبية. فهذه التشكيلات الاجتماعية معنية أساساً وفي المقام الأول بالنضال على مختلف الجبهات للدفاع عن مصالح أعضائها. وعادة يتمحور النضال في اتجاهين رئيسيين تربطهما علاقة وثيقة متداخلة، وهما النضال السياسي الوطني العام والنضال المطلبي الخاص. وعلى الاتحاد أن يوفق دائماً بين هذين الاتجاهين للنضال ولا يجوز في أي حال من الأحوال أن يلغي واحد منهما الآخر.

بالطبع، فإن الظروف التاريخية المحددة هي التي تملي أولوية الاتجاه النضالي، وبرأينا فإن الاتجاه الوطني السياسي للنضال هو الإتجاه الرئيسي في ظروف نضالنا الوطني التحرري، ولكن على قاعدة عدم إلغاء أو التقليل من أهمية الاتجاه النضالي الآخر، أي النضال المطلبي للفئات الاجتماعية المختلفة. فالنضال المطلبي حاجة حيوية للدفاع عن المصالح المباشرة للجماهير، وبهذا المعنى فهو يشكل رافعة ضرورية أيضاً، لا بد منها، من أجل دفع هذه الجماهير إلى النضال الوطني العام.

على قاعدة هذه الأسس تعاطت الجبهة الشعبية مع الاتحادات وذلك بهدف تحويلها إلى أدوات كفاحية فاعلة في نضال شعبنا الفلسطيني من أجل تحرره الوطني والاجتماعي وفي هذا السياق واجهت الجبهة وتواجه مختلف السياسات والانحرافات اليمينية و«اليسارية» في التعاطي مع الاتحادات الشعبية وبالأخص سياسة الفساد والإفساد التي

مارستها وتمارسها القيادة المتنفذة في م.ت.ف. تجاه هذه الاتحادات بهدف إلحاقها البيروقراطي بها، الأمر الذي عكس نفسه بنشوء أزمة جدية داخل الاتحادات وشلل شمل معظم نشاطاتها بدءاً من فقدان استقلاليتها السياسية والمالية، مروراً بعدم التجديد لغالبية قياداتها وصولاً إلى شكلانية العمل في صفوفها وتقلص قاعدتها الجماهيرية.

وفي سياق سياستها الوكنية النقابية المسؤولة تميزت مواقف الجبهة الشعبية تجاه الاتحادات في ظل الأزمة الحادة التي عاشتها منظمة التحرير بعد حرب لبنان والتي امتدت لغاية المجلس الوطني الثامن عشر التوحيدي الذي عقد في الجزائر عام ١٩٨٧ . فقد تركت الأزمة بصماتها الجدية المدمرة على علاقة الثورة بالجماهير وبالتحديد أثناء وبعد الاقتتال الداخلي وبالأخص على الحياة النقابية في الساحة الفلسطينية. وساهم في تعميق هذه المسألة الطابع السياسي البارز للمنظمات والاتحادات الشعبية والناتج عن خصوصية النضال الوطني الفلسطيني كنضال لشعب مقتلع من أرضه ويكافح من أجل العودة وتقرير المصير وبناء دولته الوطنية المستقلة على ترابه الوطني.

نتيجة لهذه الأزمة بدأت ظاهرة شق الاتحادات والنقابات تأخذ ترجماتها العملية في أكثر من اتحاد وأكثر من فرع ومن أكثر من جهة، حيث اتخذت ظاهرة الشق هذه أسلوبين، أسلوب يتعلق بالشق المباشر وعدم الاعتراف بالهيئات الشرعية، بل وتشكيل بديل عنها، وأسلوب يتعلق بتشكيل اللجان التحضيرية بدلاً من الهيئات الشرعية المنتخبة،

الأمر الذي هدد فعلياً وحدة الاتحادات والنقابات الفلسطينية ومدى تمثيلها الموحد لأي قطاع من قطاعات شعبنا.

من هنا وانطلاقاً من قناعته العميقة بضرورة وحدة مؤسسات الشعب الفلسطيني وارتباطاً بذلك وحدة المنظمات والاتحادات الشعبية الفلسطينية تعاطى حزبنا بمسؤولية عالية، فواجه كافة عمليات الشق بوجهها عبر التمسك بوحدة هذه الاتحادات وفق دساتيرها ولوائحها وهيئاتها الشرعية المنتخبة، ووجه النقد اللاذع للاتجاهات المغامرة في التعاطي مع واقع الاتحادات وتطويرها. وفي هذا المجال أكد حزبنا بأن أي تغير في هذه الاتحادات و قياداتها لا يرتبك بمجرد الرغبة الذاتية أو بمجرد اتخاذ قرار، بل إن تغيير موازين القوى القاعدية والفعل اليومي في جسم الاتحادات هو الذي يمكن من التغيير المتدرج لهذه القيادات.

على أرضية هذا الفهم الواقعي الثوري صاغ حزبنا سياسته النقابية في تلك الفترة العصيبة من مسار نضالنا الوطني وذلك على أساس المبادىء التالية:

١ ــ البقاء في الاتحادات الشعبية الفلسطينية في كافة المستويات والنضال من خلال أطرها وهيئاتها.

٢ ــ الحفاظ على وحدة الاتحادات الشعبية الفلسطينية ومقاومة محاولات شقها من أية جهة كانت.

٣ ــ المبادرة والعمل من أجل استعادة وحدة أي من الاتحادات

المنشقة والتجاوب مع المبادرات والمحاولات التي تستهدف ذلك.

٤ ــ النضال داخل الاتحادات لدفعها للاقتراب بأكبر قدر ممكن من موقعنا السياسي، وفي جميع الحالات التمسك بحقنا وحق مندوبينا في الاتحادات للاحتفاظ بوجهة نظر سياسية خاصة والتحريض لصالحها في إطار الاتحادات وبكل الوسائل.

٥ ــ الصراع داخل الاتحادات وعلى قاعدة وحدتها بلا هوادة من أجل الخط السياسي الوطني من جهة والتمسك بالقواعد الديمقراطية من جهة ثانية.

إنطلاقاً من هذه المبادىء برز الدور الساطع الوحدوي للجبهة في المؤتمرات الوطنية العامة لكل من اتحاد الطلاب واتحاد المعلمين واتحاد العمال، كما وتجسد هذا الدور أيضاً في عملية إعادة الوحدة إلى اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وفي الموقف المبدأي المسؤول من أزمة الحركة النقابية الفلسطينية داخل الوطن المحتل.

وفي السياق نفسه أيضاً تميز دور الجبهة في المبادرة على الدوام وفي أجواء الخلافات الحادة داخل الساحة الفلسطينية إلى طرح شعار الوحدة الميدانية للحركة الشعبية الفلسطينية في مواجهة التحديات والمخاطر المطروحة على الثورة والقضية الوطنية.

إضافة إلى هذه الجوانب في نشاطها الجماهيري برز أيضاً دور الجبهة الشعبية على هذا الصعيد بتشكيل العديد من المنظمات الشعبية الديمقراطية التي شكلت وتشكل من جهة أدوات فاعلة في تعزيز وتطوير

مكانة ودور الحركة الشعبية الفلسطينية في نضالنا الوطني بمختلف جوانبه، ومن جهة أخرى رافداً أساسياً للاتحادات الشعبية الفلسطينية وليس بديلاً لها على الاطلاق.

وهنا يمكن أن نذكر منظمة الشبيبة الفلسطينية ولجان المرأة الفلسطينية ولجان العمل. إما في الداخل فقد ساهمت الجبهة الشعبية بانشاء العديد من المنظمات الديمقراطية التي تتناسب والظروف الملموسة للحركة الشعبية في الوطن المحتل. وقد لعبت هذه التشكيلات دوراً بارزاً في الانتفاضة الشعبية المجيدة لشعبنا الفلسطيني وبالأخص في تشكيل لجان الاختصاص المختلفة، بدءاً من لجان المقاومة الشعبية وصولاً إلى اللجان الزراعية والصحية. وقبلها كان للجبهة الشعبية باع طويل ومبادرات في مجال النشاطات الاجتماعية الجماهيرية من روضات الأطفال إلى العيادات والمدارس وخاصة في مخيمات لبنان والتي لا زالت تقوم بدورها حتى هذا اليوم بجدارة.

إنطلاقاً من جميع هذه الحقائق وارتباطاً بموقفها السياسي المبدأي تجاه القضية الوطنية وطابعها الكفاحي العالي والمسلكية الثورية التي تميز أعضاءها وكادراتها وقياداتها فإن للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين رصيداً جماهيرياً معترفاً به في كافة أوساط شعبنا الوطنية، وهذا الأمر مدعاة فخر لحزبنا ومؤشر واضح لصحة سياساته الوطنية ومثار تحد لنا لكي نكون دائماً على مستوى هذه الثقة التي أولانا إياها شعبنا المناضل. على هذا الأساس فإن شعارنا هو النضال الحازم للتحول إلى حزب جماهيري —

طليعي — كفاحي، قادر على لعب دور رائد في النضال الوطني التحرري لشعبنا الفلسطيني.